


د.أحمد خيري العمري









# كش ملك



سلسلة ضوء في المجرة

# كش ملك

أحمد خيري العمري




آفاق معرفة متجددة





# كش ملك

كش ملك/أحمد خيري العمري .- دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٥ .- ٨٤ص: ٢٠سم .- (سلسلة ضوء في المجرة).

١-٨١٨,٠٣ ع م ر ك ٢- العنوان ٣- العمري
٤- السلسلة



ثقافة الاختلاف

2012=1433

دار الفكر - دمشق - برامكة
٠٠٩٦٣ ٩٤٧ ٩٧ ٣٠٠١
٠٠٩٦٣ ١١ ٣٠٠١
http://www.fikr.com/
e-mail:fikr@fikr.net

---

سلسلة ضوء في المجرة

# كش ملك

د. أحمد خيري العمري

الرقم الاصطلاحي: ١٨٩١,٠٣٦

الرقم الدولي: ISBN:1-59239-475-2

التصنيف الموضوعي: ٨١٨ (الكتابات العربية المتنوعة)

٨٤ص، ١٢ × ٢٠ سم

الطبعة الرابعة: ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م

ط١ / ٢٠٠٧م

## مقدمة الناشر

حين وصلت كتيبات هذه السلسلة إلى دار الفكر لطباعتها وتقديمها للقراء توقفت عندها طويلاً، ذلك لأنّ فيها نَفَساً من نوع خاص، وأفكاراً معروضة بطريقة خاصّة.. وكل جديد يتوقف المرء عنده، ويفكر فيه، ويسأل عنه، يمايزه مع غيره... يتردد، يحار، يقدم رجلاً، ويؤخر أخرى. يخشى أن يتوغل فيه... يخاف.

والكلمة تخيف... وبعض الكلمات ترعب...

والكلمة مسؤولية... والمسؤولية لها ما وراءها...

وحين تصدر الكلمة، وتكون أحياناً كالقنبلة التي تحدث الانفجار، حين ذلك لا يمكن أن ترجع أو تُسترجع.

على أن أجزاء هذه السلسلة ليست قنابل، ولا تحدث الأذى، ولكنها أجراس قوية وضعيفة توقظ النائمين، وتنبه الغافلين، وتهدي الحيارى.

وربما يكون فيها صوت عالٍ وصدى عنيف... هو صوت التحذير، وأصداء الإنذار والتذكير.

هل تقوم كلمات هذه السلسلة بكل هذه المسؤولية؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

يا صديق...

حياتنا ما هي إلا ملحمة شطرنج كبرى؛ شيقة وشاقة، نقضيها دون أن ندري، ونحن نحرك الجنود والخيول والقلاع ندافع عن ملكنا أو نضحي به...

في كل ساعة، في كل لحظة من كل يوم هناك تلك الرقعة المربعة الملأى بلوني الحياة الأساسيين، (الأسود والأبيض) وهناك الجنود يتدافعون ويموتون، والقلاع تحاصر وتتهاوى، والخيول تتراكض والفيلة تهاجم، والوزير يصول ويجول.. والملك يقف مأسوراً، مذعوراً أو مبهوراً منتصراً، إنه مثل الملوك المعاصرين: يملك ولا يحكم، لا يملك من أمره شيئاً...

كل لحظة من لحظات حياتنا جزء من تلك الملحمة الكبرى، تلك اللعبة التي تسيطر على حياتنا وتهيمن عليها..

تقول: إنك لا تحب الشطرنج؟ لا خيار يا صديق، لا خيار.

إنك مجبر على اللعب، سواء وعيت ذلك أم لم تعه.

سواء كنت تتقن اللعبة وتهواها، أو كنت تجهل أبجديتها، إنك تلعبها منذ وعيت حتى لو لم تعِ، تلعبها طيلة حياتك، وستظل تلعبها حتى تموت.

حياتك يا صديق، حياتنا، ما هي إلا ملحمة شطرنج كبرى.

☆☆☆

يقولون: تكون اللعبة شيقة إذا كان خصمك ماهراً...

أخبرك الآن: إن خصمك ماهر.. أكثر مما تتصور بكثير.

كاسباروف؟ لا. كاربوف؟ أمهر بكثير، أقدم بكثير أعرق بكثير.

تستطيع أن تقول: إنه أول من لعب أول لعبة شطرنج في التاريخ كله، إنه من وضع قواعد اللعبة وأصولها...

والمشكلة معه، أنه ليس خبيراً في أصول اللعبة فقط، ولكنه عادة يكون خبيراً فيك؛ في خصمه، إنه لكثرة ما لعب عبر التاريخ، تمرس بمعرفة ما يدور في بالهم، فصار يعرف النقلة التي سينقلون، والحركة التي

سيتحركون، فينصب لهم الفخ الذي فيه يسقطون.

إنه يعرف خصوصياتك كلها، يحفظك تماماً، وعندما ينظر إليك، وأنتما متواجهان، وأنت مطرق تكفر في نقلتك القادمة، فإنه يسبر أغوارك، يجوس في مغاراتك، يتجول في مجاهلك... وقل أن تقرر النقلة القادمة، يكون قد قررها هو نيابةً عنك!

لقد قلت لك: إنه ماهر جداً، خصمك هذا..

☆☆☆

والمسألة بالنسبة إليه أكثر بكثير من مجرد لعبة، أو هواية، أو حتى احتراف.

لقد قضى حياته كلها - وسيقضي ما تبقى منها - وهو يلعب هذه اللعبة، نتيجة لرهان تورط به، وقسم أقسمه في مطلع حياته منذ دهور بعيدة.

فنتيجة لموقف معين، نعرفه جميعاً ولا داعي للخوض في تفاصيله، أقسم خصمك العتيد أن يلاعب الجميع - الجميع! تلك اللعبة، بل وأقسم أن يغلب الجميع... وهو قسم نشهد جميعاً أنه يبذل أقصى طاقاته ليبر به، بل ونشهد أنه يحقق فيه نجاحاً ملحوظاً... خبرته إذن لم تأت من فراغ. إمكانياته حقيقية وعميقة، استعداداته عريقة.

(وأنت ربما بلا أي استعداد! ربما لا تعرف خطورة اللعبة ولا تعي حتى أنك تلعب...).

إن لعبة الشطرنج بالنسبة إلى خصمك مسألة حياة أو موت.

وأداؤه يكون على هذا المستوى: حياة أو موت.

☆☆☆

ورغم أنه محترف، ورغم أنه وضع الأصول والقواعد، ولعب أول لعبة، إلا أنه - رغم ذلك كله، (وربما بسبب ذلك كله!) - يغش قليلاً، (أو كثيراً) بل هو أحياناً يعد أن هذا الغش جزء لا ينفصل عن أصول اللعبة وقواعدها...

نعم، إنه خصم صعب.

☆☆☆

حياتنا إن هي إلا ملحمة شطرنج.

والأرض ليست كروية، بل هي مربعة، رقعة مربعة ملآنة بمربعات أصغر. والألوان الأساسية كلها كذب.

هناك لونان فقط في حياتنا هذه: الأسود والأبيض.

كل الألوان الباقية مجرد مشتقات من المطلقين الوحيدين في هذه الحياة: الأسود والأبيض.

والرقعة المربعة تحاصرنا، موجودة بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا...

... وخصمنا لاعب ماهر، محترف وغشاش.

... وهو لا يتمتع باللعب، إنه لا يلعب من أجل اللعب.

يريد فقط أن ينفذ وعده وقسمه: ويغلبنا.

☆☆☆

لعل أصول اللعبة تقضي بأن تعرف اسم خصمك، وبطاقته الشخصية؟

لعلك عرفته الآن.

إنه ذاك اللعين الذي طرد منها ذات مرة في دهر بعيد.

وأقسم على الله - بعزته - أنه سيحرص على طردنا منها أسوة به.

... ونجح في ذلك - مرحلياً على الأقل - في أول لعبة شطرنج لعبها، وكان خصمه آنذاك هو أبانا آدم..

وانتصر خصمنا على أبينا في أول ملحمة شطرنج عرفها التاريخ..

وكان من نتائج ذلك الانتصار أن خرجنا من الجنة في هبوط حاد لا نزال نعاني من نتائجه حتى الآن.

☆☆☆

خصمك العتيد، هو ذاك الشيطان الرجيم؛ إبليس اللعين...

هل خفت قليلاً؟

هل تقول: إنك لا تريد أن تلاعبه؟

لا يا صديق، اللعبة قدر، والشطرنج قدر.

وإبليس أيضاً قدر.

فواجه هذا القدر.

☆☆☆

الشطرنج ملحمة الحياة، والأبيض والأسود هما اللونان الوحيدان في هذه الملحمة. يصطف الجنود والقلاع والخيول حول الملك - الذي يملك ولا يحكم - على الرقعة المربعة التي هي الأرض كلها.

ويقف خصمك متأهباً، مسلحاً بخبرته، مستعداً بقدراته المتراكمة، ينظر إليك بعين تخترقك، تعرف كل دماراتك...

وتقف أنت متردداً، بل مرعوباً، تريد أن تراجع قواعد اللعبة وأصولها قبل أن تبدأ اللعبة..

ينظر إليك هو، ويبتسم..

يبتسم؟ لا.

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم...

يراهن خصمك دوماً على نقلة أساسية تنهي اللعبة من أساسها لمصلحته...

وهذه النقلة هي نقلتك، أو هي جزء من دورك المفترض..

وهي بسيطة جداً، لكنها حاسمة جداً، وأنت تفعلها من دون وعي بأهميتها في اللعبة... فإذا باللعبة كلها قد انتهت، وإذا بملكك قد قضي عليه.. في نقلة واحدة...

... في الحقيقة إنك لا تفعلها أصلاً.

بل كل ما تفعله هو أنك **لا تفعل شيئاً، ربما انت لا تعرف أن اللعبة بدأت.**

لذلك فلن تفعل شيئاً، لكنها قد بدأت. ينقض عليك خصمك الماهر، ويفترس ملكك وأنت لا تعرف.

نعم.. أكثر ما يحدث ويجعل خصمك يحرز الانتصار هو أن أغلب الناس لا يعرفون أن هناك لعبة شطرنج هي في جوهرها ملحمة حياتهم بأجمعهم...

لا يعرفون أن هناك تحدياً عليهم أن يكونوا جزءاً منه، يذهب عن بالهم ذلك الرهان القديم والقسم العتيق الذي طالما سمعوا به وعَدُّوه حكاية قديمة لا تمس حياتهم الشخصية..

.. إنهم - باختصار-: **في غفلة**...

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ١٩/٣٩].

نعم، غفلة؛ قضي أمرهم، أمر ملكهم وملحمتهم، انتهت بالخسارة، وهم أصلاً لم يعرفوا بالأمر: كانوا عنه غافلين..

ربما لم تكن في حياتهم معاصٍ كثيرة، ربما كانوا - أصلاً - ناساً طيبين، لكنهم كانوا في غفلة عن الملحمة، وعن التحدي، وعن القسم العتيق. كانوا في غفلة حتى عن الله سبحانه وتعالى...

**كانوا يخوضون مع الخائضين، وأينما ذهب الناس كانوا معهم يذهبون.**

وظلوا غافلين...

إنهم الصيد الأسهل، والفريسة الأيسر، والجولة الأسرع بالنسبة إلى إبليس.

فاللعبة تنتهي قبل أن تبدأ.

إذا إنهم غافلون.

إلا أنهم في الغفلة سقطوا؛ إذ إنهم لم يعرفوا!.

ولو أنك تأملت في ذلك، لرأيت أن الغفلة هي أكثر ما يبعد الناس عن الله، ويقربهم من إبليس، يجعل منهم ضحية على تلك الرقعة المربعة الملآنة بالأسود والأبيض...

إنهم غافلون... هذا هو التعبير الأدق والأبلغ في وصفهم..

حياتهم كلها في غفلة تامة، لا عن الله فحسب، ولكن حتى عن أنفسهم، إنهم لا يعون ولا يعرفون ولا يدركون، ولا يهتمون، لماذا هم يعيشون، إنما هي حياتنا الدنيا.. نعيشها كما يعيشها الآخرون.

ثم نموت كما مات الأولون...

إنه ذلك الخوض المهين، في كل ما يخوض به الآخرون.

إنهم يسيرون كما يسير الآخرون في القطيع، وأين يؤدي بهم الطريق سيذهبون.

إن ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩/٧].

غفلتهم عن الله، أغفلتهم عن أنفسهم، لقد ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩/٥٩].

وعندما نسوا أنفسهم تركوها تهون وتصغر وتذل... وتخوض مع الخائضين..

وانتصب بينهم وبين أنفسهم من ثم وبين الله - غطاء - مانع، حاجز يجعلهم لا يرون ولا يبصرون ولا يسمعون ولا يفقهون ...﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢/٥٠] ...لن

يسقط هذا الغطاء ولن تستعيد الحواس فاعليتها إلا هناك، بعد فوات الأوان...

إنها الغفلة؛ رصيد إبليس الأكبر، وحظه الأهم في النصر..

إنها معضلة أولاد آدم الأكبر، ربما ليس هناك معاصٍ كبيرة أو منهيات منتكهة، أو فسق شديد الوضوح أو كبائر معلنة وصريحة.

بل ربما هناك حسن خلق وبعض الأعمال الجيدة، وربما تربية أصيلة وبعض اللهو البريء.

ولكن هناك تلك الرقدة العميقة، تلك الغفلة التي لا قاع لها ولا منتهى.

إنهم مخطئون في غفلتهم؛ يتصورون أن عدم ارتكابهم بعض المعاصي، أو عدم ولوجهم في عمق الكبائر إنما هو فضل يمتلكونه ويجعلهم فوق الحساب وفوق الحشر وفوق كل الحقائق...

إنهم يتصورون - بسذاجة - أن هناك لوناً آخر غير الأسود والأبيض في هذا الكون.

إنهم يتصورون أن هناك حلولاً وسطاً في تلك الملحمة التقليدية القائمة على ذاك الرهان العتيق.

إنهم يتصورون الأمر قابلاً للمفاوضة أو المساومة.

أو في الحقيقة، إنهم لا يتصورون ذلك بالضبط،

إنهم لا يملكون تصوراً واضحاً محدداً لأي شيء، إنما هي حياتنا الدنيا، نموت ونحيا.

إنما حياتهم مزيج من تلك الغفلة وذلك الإغماء وذلك الغفو، وبعض من اللهو الذي يسمونه بريئاً.

وذلك المزيج يجعلهم الفريسة الأكثر سهولة بالنسبة لإبليس.

إنهم رصيده الذي يجعلهم مضمونين في الجيب...

وقبل أن يعلموا، وقبل أن يدركوا، وبينما هم في خوضهم يلعبون (شيئاً آخر غير الشطرنج) ستكون اللعبة - الملحمة قد بدأت تنتهي.

وسيسقط الملك المذعور مأسوراً مذلولاً، إنه لم يدر أن اللعبة ابتدأت...

لم يدر أن هناك لعبة..

وذلك بالضبط ظنه الذي جعل إبليس ينتصر.

☆☆☆

والشطرنج يا صديقي، لعبة تتطلب من العقل أن يكون حاضراً، والحواس فاعلة، والذهن قائماً مستفزاً حياً.

وعندما يكون الشطرنج ملحمة حياة، فإن الوعي وعناصره لابدَّ أن يكون حاضراً في تلك الملحمة... لابدَّ

من العقل، لابدَّ من الحواس وهي بكامل حيويتها وفاعليتها...

لابدَّ من ذلك الإدراك الحساس والبصيرة الحديدية.

لابدَّ من أن يسقط الغطاء الواقي المانع، لابدَّ من أن تزاح الأكنة من على القلوب، والوقر من الآذان.

لابدَّ لتلك الغفلة أن تنتهي، لابدَّ لتلك الرقدة أن تقطع.

... لابد أن يستيقظ شيء في الأعماق، من الأعماق.

فإذا بالعيون تبصر، وبالآذان تسمع، وبالقلوب تفقه.

وإذا بالحياة لها معنى، وإذا بهذا المعنى يستفز على القيام، على النهوض من الأجداث على الحياة.

... وفجأة، يصير هذا المعنى يتطلب منك استخدام حواسك كلها، مدركاتك كلها، من أجل التحدي الذي يواجهك في كل لحظة من لحظات حياتك..

فجأة، يصير كل اللهو والعبث السابق لا معنى له، في كل لحظة هناك (ذاك اللعين) وهو يتربص بك، لقد أقسم أن يغويك، أقسم أن يخرجك منها، وألا يعيدك إليها...

... وهو يبذل أقصى طاقاته ليبر بقسمه..

الأرض ليست كروية يا صديق.

إنها مربعة... فجأة أصبحت تدرك ذلك.

كل الألوان في هذا الكون مزيفة، لا شيء هناك سوى الأسود المطلق والأبيض المطلق.

فجأة أصبحت تبصر ذلك... وصار عليك أن تتخذ موقفاً من ذلك: إما الأبيض، أو الأسود.

الحياة كذبة مزيفة، اللون الرمادي أسطورة من أساطير الأولين.

نعم، عليك أن تتخذ موقفاً، دوراً في لعبة الشطرنج التي هي في الحقيقة ملحمة حياتك...

فجأة، صار ذلك كله واضحاً أمامك.

لقد كشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد.

☆☆☆

كيف؟ كيف حدث ذلك؟

لا تدري بالضبط، فجأة يسطع ضوء في الداخل، فجأة تتألق في دواخلك أضواء ما كنت تتصورها موجودة في العالم المظلم..

فجأة تجد أزراراً كهربائية ومفاتيح على لوحة روحك، تمد يديك لتضغط على واحد فإذا بالآخر يسطع، والآخر يسطع ويسطع.

فجأة - أنت الذي كنت تخوض مع الخائضين - تكتشف أن لك روحاً... وأنها يمكن أن ترتفع بك وتتألق وتتلألأ... وتخوض معها وبها فضاءات ما سمعت بها يوماً... وما كنت تتصورها موجودة، وما كنت ستصدق أنها موجودة لو سمعت بها أصلاً.

كيف يتهاوى غطاء الغفلة الذي كان يلفك وحواسك من جميع الجهات؟؟..

كيف يسقط ويتمزق؟..

لا تدري بالضبط، ربما الفطرة فجأة توثبت واستيقظت في أعماقك ومزقت خيوط الغفلة.

ربما الهداية نبتت في دواخلك... ربما الإيمان انفجر فجأة في مجاهلك...

لقد استيقظت، أو إن شيئاً ما استيقظ في داخلك وأيقظك...

المهم أنك استيقظت.

وهنا فقط تبدأ اللعبة، تصير لعبة بحق.

☆☆☆

... لكن إبليس الخبير المتمرس لا يحبط قط.

إنه لم يخسر بعد، حتى ولا جولة.

كل ما في الأمر أنه كان ينهي اللعبة قبلها دون أن

تكون هناك لعبة، الآن سيكون هناك لاعب يعرف أن هناك تحدياً أمامه.

وأحياناً، كثيرة جداً، تكون اللعبة سهلة جداً، والتحدي لا يعتد به، خصوصاً أمام لاعب متمرس وخبير مثل إبليس.

☆☆☆

على الرقعة المربعة وعلى المربعات السوداء يقف جنود إبليس مستعدين متأهبين، هذه المرة ليؤدوا دروا أدوه من قبل ألوف السنين.

وسيؤدونه إلى ما شاء الله؛ ما دام هناك على هذه الأرض ذكر... وهناك أنثى...

... ومنذ أول ذكر، وأول أنثى، وجد إبليس مدخلاً للإنسان عبر مفتاح يملكه هو، مفتاح موجود في داخل الإنسان... لكن إبليس يجيد اللعب على أوتاره، والعزف على أنغامه بشكل يجعل هذا المفتاح جاسوساً مأجوراً في داخلك لمصلحة إبليس التعيس...

... عبر القرون المتطاولة من الخبرة المتراكمة، تحولت الشهوة التي كانت أصلاً قد أعدت كفخ من أجل الاستمرار والاستنسال، إلى فخ من أجل السقوط.

نعم... كانت الشهوة أصلاً غرست (وغرزت) من

أجل أن تستمر البشرية، دونها لن يحدث ذلك التلاقح الذي لابدَّ له من الحدوث من أجل الإنتاج.

نعم، في العمق غرست من أجل هدف عميق.

وعلى ذلك العمق لعب إبليس، بعمق لعب، بعمق حفر، فإذا به فخ يهوي نحو هاوية سحيقة، نحو درك عميق...

وإذا بهم - عبر القرون المتطاولة - يتساقطون في هذا الفخ المغروس بعمق في أعماقهم، يتهاوون نحو عمق الهاوية في عمق اللهيب داخل عمق النار...

عبر فخ موجود فيهم، أحسن إبليس استغلاله...

كيف أحسن استغلاله؟ لا جواب، امش في الشوارع فقط، انظر عن يمينك، وعن شمالك، ومن أمامك، ومن خلفك (بالضبط كما وعد، بالضبط كما وصف).

انظر إليه يحاصرك ويحاصرنا من جميع الجهات: الفتنة ليست نائمة، بل تمشي في الشوارع كاسية عارية، تنادي، ودوماً هناك حياة واستجابة لمن تنادي، مادامت تنادي ذلك الشيء في دواخلهم، كل بضاعة ولها ثمنها، وأحياناً هناك سلع معروضة للعرض فقط، ممنوع اللمس. ويزيد ذلك من فتنتها.. ويزيد ذلك من الفحيح السائر... واللهيب الدائر..

وهناك ذلك التنافس المحموم بينهن [هن أيضاً ضحاياه، بطريقة أو بأخرى].. 

هناك ذلك الاحتراف المتوارث في الغواية، هناك تلك الأساليب الخفية؛ ذلك الغنج المزيف ولكن الشهي، وتلك التأوهات والتميعات المصطنعة والتي توحي بذلك الخضوع الذي يشتهيه كل الذكور في السرير...

.. وهناك تلك الأساليب التي تجعل حتى المستور مكشوفاً، بل وتجعل المستور ذاته مرغوباً أكثر مما لو كان مكشوفاً.. تلك الطرق التي تثير الخيال وتطلق العنان له، وتجعلك وأنت تمشي في الشارع تفاجأ بأن..

... نعم. لقد أحسن إبليس اللعبة، عن اليمين وعن الشمال، من الأمام ومن الخلف..

لقد أطبق الحصار..

وفوق ذلك كله: إن في عروقك لا يجري ماء، بل دم يغلي، دم يفور.

☆☆☆

ويسيل في داخلك ذلك الصهيل، وتجري في عروقك تلك الشهوات، تصهل في أعماقك الخيول.. تريد أن تنطلق.. تريد أن تجري... تريد أن تثور..

وفي داخلك بركان يريد أن ينفجر، أن يطلق حممه، أن يثور..

ورغم أن حليبك أصلاً طهور، إلا أن في عروقك.. لا يجري ماء، بل دم يغلي ويفور.

عن اليمين وعن الشمال، ومن الأمام ومن الخلف.

بالضبط كما وعد، بالضبط كما وصف.

وتسألني: أين تذهب بوجهك؟؟.

☆☆☆

... ذهب أحدهم إلى الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يشكو حب الزنا، ويطلب منه، عليه الصلاة والسلام، أن يسامحه في ذلك؛ أن يعطيه رخصة ما عند الله من أجل أن يسقط عنه عقوبة الزنا: دنيا وآخرة.

كان قلبه متعلقاً بالزنا خاصة، ولكنه كان مسلماً يؤمن بالله وبالرسول وباليوم الآخر.. ربما حديث عهد بالإسلام، لكنه جاء يطلب رخصة، ولو لم يكن مؤمناً لزنا سراً، ولما جاء وطلب.. وكشف عن تعلقه بالزنا..

وواجهه عليه الصلاة والسلام بذلك المنطق البسيط الآسر، الذي سنظل مأسورين فيه وغير قادرين على تجاوزه، قال له: **افترضاه لأختك؟ افترضاه لأمك؟.**

أجابه الشاب، بالإجابة نفسها التي سيجيبها أي منا **بسرعة : لا، طبعاً..**

فيجيبه عليه أفضل الصلاة والسلام: فالناس لا يرضونه أيضاً لأمهاتهم وأخواتهم..

المنطق البسيط الآسر نفسه، وهو يأسر الشاب ويأسرنا معه..

لكن، بما أن الشهوة أحياناً، لا منطق لها، فإن ذلك لم يكن كل شيء، بل إن الرسول ﷺ وضع يديه الشريفتين على قلب الشاب، ودعا له، فما رفعهما حتى كان حب الزنا قد رفع من قلبه تماماً..

ذلك الشاب أراه اليوم قد بعثك في المئات، بل الآلاف، بل الملايين من الشباب الذين يسيرون في الشوارع، ويجدون أنفسهم قد حوصروا عن اليمين وعن الشمال ومن الأمام ومن الخلف..

إنهم ليسوا عصاة كلهم، بعض منهم يصارع، وبعض منهم انتصر، وبعض منهم سقط تماماً في الفخ المنصوب بإحكام نحو هاوية لا مخرج منها، وبعضهم يسقط تارة ويثوب تارة أخرى..

أغلبيتهم لم يحترقوا بعد، وما زال فيهم أمل..

والأغلبية الغالبة منهم لا ترفض الدين ولا تكفر بالله، بل إنهم يتمنون لو استطاعوا التوفيق بين شهواتهم وبين طاعته، بالضبط كما جاء ذلك الشاب يطلب رخصة، ولعل بعضاً منهم يوهم نفسه أنه (يتمتع)! برخصة ما.. عبر ورقة ما، أو فتوى ما.. أو صيغة ما من تلك الصيغ التي يخادعون الله بها... وما يخدعون إلا أنفسهم.

بل لعلهم يقولون: إن وضعنا اختلف الآن عما كان عليه قبل، فالزواج أصعب، والمغريات أكثر.. يدورون ويلفون حول تحليل ما سيظل حراماً.

... وإذا قلت لهم ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام لذلك الشاب: أفترضونهُ لأخواتكم؟. أفترضونَهُ لأمهاتكم؟ فإنهم سيهبون قائلين: إن الفتيات الآن هن اللائي يركضن وراء ذلك، وإنهم لا يجبرون واحدة منهن على ذلك؛ متجاهلين الحكمة الأساسية وراء قول الرسول عليه الصلاة والسلام وهي أن الطوفان عندما يأتي سيجرف معه كل شيء، وأن السفينة عندما تغرق ستغرق معها جميع ركابها، صالحهم وطالحهم...

رغم ذلك، أعترف، الشهوة لا منطق لها، وعندما يسيطر ذلك الشيء، متوتراً، مستفزاً، عنيداً لحوحاً فإن المسألة الوحيدة التي يمكن التفاوض عليها هي كيفية تهدئته... وبأية وسيلة.

عندما تسيطر الشهوة على الرؤوس: لا رؤوس هناك...

وعندما لا رؤوس... يكون الوضع أمثل بالنسبة إلى إبليس، على تلك الرقعة المربعة.

☆☆☆

يا صديق... أيها الصامد بوجه الشهوة رغم

الحصار الذي من اليمين والشمال ومن الأمام ومن الخلف.

يا صديق، يا من يصارع ذلك الألم المرير، ألم البركان العضلي الذي يريد أن ينفجر ولكن يظل مكبوتاً محبوساً في الداخل...

يقولون: (أعزب دهر ولا أرمل شهر) كناية عن صعوبة صبر من جرب وخاض التجربة بعمقها وذاق لذاتها، بالنسبة إلى من لم يذق أصلاً...

... رغم أنك لست أرملاً، إلا أنك جربت جميع اللذات حد الثمالة، حد الملل، حد الرتابة، ثم اخترت التوبة، أرملاً لتلك الحياة الفاسدة التي ماتت غير مأسوف عليها دون رجعة، والتوبة، رغم كونها انقطاعاً عن تلك الحياة الماضية، إلا أنها بداهةً لا تقطع ذلك العضو، ولا تقلع تلك الغريزة المغروسة بعمق في أعماقك...

... ويأتيك إذن ذلك البركان الذي يريد أن يثور، وتلك العضلة التي تلح أن ترتخي...

... وذلك الألم الذي يجري مع دمائك التي تغلي وتفور...

وتسألني أين تذهب بوجهك؟؟

أقول لك أين..

☆☆☆

كثيرون وكثيرات دخلوا شقتك أيها الصديق، أصدقاء جيدون (نادرون!) وأصدقاء سيئون، أقرباء، بعضهم أقارب حقاً، وبعضهم عقارب، تعرف طبعاً من أيضاً دخل شقتك...

انس ذلك كله الآن، اشطبه، حتى الجيد منهم، ناهيك عن السيئ والعابر.

... وأياد كثيرة لمست أماكن مختلفة من جسمك، بعضها لأسباب الفحص الطبي مثلاً، وبعضها بشكل بريء تماماً، وبعضها الآخر لا أستطيع أن أقول ذلك عنها...

.. انس كل تلك الأيادي... وكل تلك الأماكن من جسمك... وكل أولئك الأشخاص...

... انس كل ذلك تماماً... أنت أمام شيء مختلف الآن.

☆☆☆

ذاك الشاب الذي ذهب إلى الرسول يطلب منه رخصة للزنا، أحسه قادماً من زماننا، أحسه واحداً من أولئك الملايين من الشبان المطحونين المزقين بين رغباتهم ونوازعهم وبين واجباتهم الدينية، واحداً من أولئك الذين لا يتمكنون من الزواج لسبب أو لآخر، ويحاصرهم إبليس بجنود الشهوة عن اليمين وعن الشمال ومن الأمام والخلف...

أتأمل فيه؛ إنه واحد من شبابنا، طيب وأصيل، وفي عروقه لا يجري الماء، بل دم يغلي ويفور...

أتأمل فيه، وأتأمل في يدي الرسول عليه الصلاة والسلام وهي تمس قلبه... وتغيره إلى الأبد...

.. وتسألني يا صديق: **أين تذهب بوجهك؟**

☆☆☆

دعه يدخل شقتك... لا، لا تفرش السجاد الأحمر، ولا تحاول تجديد الأثاث فرحاً به... إنه أبسط ولكن أعمق من ذلك...

... دع المكان يتشرف به، دعه ينور، ويسطع بالأنوار فجأة.

دعه يحتل المكان بحضوره الطاغي البهي... دعه يهيمن على التفاصيل كلها...

دع **حضوره** الساحر المؤثر يأسر المكان، ويأسرك...

دعه يأسرك، ويطلق سراحك داخل حضوره الكريم...

دعه يخترق كل الموجودات في الغرفة، مثل سحابة خارقة ملونة، حبلى بالغيث النقي حديث العهد بربه...

... امثل أمام حضرته الكريمة..

**سيختار مكاناً ليجلس فيه على الأرض... اذهب إليه، اجثُ على ركبتيك، واجلس أمامه...**

ارفع وجهك قليلاً، وانظر إليه، لا؛ لا داعي للتفاصيل، إن حضوره أكبر من كل التفاصيل...

وسيبدو وجهه مألوفاً بشكل غريب، كما لو أنك رأيته من قبل، كما في حلم الليلة السابقة، أو حلم الليالي السابقة كلها، كما لو أنك رأيته منذ عهد طفولتك الغابرة، وطبع في ذاكرتك كبصمة لا تنسى..

بل إن الأمر سيبدو أبعد وأعمق من ذلك، كما لو أنك رأيته في حياة سابقة أو لاحقة، أو كما لو أن أحدهم قد زرع صورته في ذاكرتك داخل جيناتك..

يكون شكله مألوفاً بشكل ساحق...

لا، لا تفاصيل؛ لكن عيناه ستكونان واسعتين كما لو كانتا تسعان الكون بما رحب، وتسعان في هذه اللحظة ذاتها كل الشبان الحائرين الممزقين المطحونين.

... وجهه السمح الحنون يكاد يكون قارة من الحنان والعطف، تهاجر إليها من آخر الدنيا...

... وابتسامته الرقيقة العذبة، تخطفك من أي مكان أنت ضائع فيه، وترجع بك إلى رحم أمك وأمانه ودفئه..

لا، لا داعي للتفاصيل، امثل في حضرته الكريمة فقط، وأنت جاثٍ على ركبتك أمام ركبتيه..

لن يقول لك: أفترضاه لأختك...

إنك أسير فعلاً داخل هذا المنطق، وما يعذبك هو كون الشهوة - لحظة الشهوة - لا منطق لها....

ما يعذبك هو هذا البركان الذي يريد أن ينفجر، وذلك الألم العضلي اللحوح...

أغمض عينيك، ستحس بيده تمتد نحو صدرك، ستشعر بلمستها تحت ثديك الأيسر تحديداً...

كثيرون لمسوك من قبل، لكن شيئاً مثل هذا لم يحدث لك من قبل...

تشعر بلمسته أكثر وأكثر، تحسها تتوغل في أعماقك، نحو قلبك... تحسها تتوهج وهي تخترق الشغاف تلو الشغاف...

أغمض عينيك.. استشعر ذلك الدفء الذي يسري من لمسته، من أصابعه الكريمة...

استشعر ذلك الارتخاء المريح الذي يدب في عضلاتك وأعصابك كلها (أستشعر به أنا عن بعد).. لقد احتواك تماماً... بلمسته، بيده التي وضعها على قلبك فلمس أعماقك وعمق أعماقك.

فجأة، تتدفق دموعك من عينيك، كل ما تريده هو أن تحتضنه، أن تجهش بالبكاء على حضنه.

مثل يتيم أعادوا إليه حضن أمه بعد موتها البعيد...

تجهش بالبكاء عند حضنه، بينما يحوطك بذراعيه وبيديه الكريمتين... يربت بهما على رأسك المثقل، وصدرك المكبوت... وقلبك الذي لمس أعماقك...

أستشعر ما يحدث عن بعد: إذن بركانك يا صديق لم يكن بركان سموم فحسب، ولكن بركان هموم أيضاً، لم يكن التوتر مقتصراً على تلك الشهوة المتوترة فقط، ولكن كل تلك الظروف المعقدة المحيطة بك، على كل أعصابك المرهفة المرهقة.

.. إنك مهموم يا صديق، مهموم ومهزوم، ومكلوم، ومكبوت... وتحتاج إلى أن تجهش بالبكاء عند حضنه الكريم.. فلتغسل دموعك قلبك وجوارحك...

**على يديه فلتولد من جديد، وتخلق من جديد... وتبعث من جديد...**

من بعد أسمع شهقة، لا أدري إن كانت شهقة بكائك، أم ولادتك، أم شهقة احتضار يتحشرج بها إبليس عند تلك الرقعة المربعة.

وتسألني: أين تذهب بوجهك؟ أقول لك: صوبه.

ثم التفت إلى إبليس واهمس في أذنه: **كش ملك، أيها الشيطان الرجيم.**

☆☆☆

... وعندما تغلب إبليس في نقلة، أو تهدد ملكه في

حركة، فإنه ينبغي عليك أن تعي جيداً أن اللعبة لا تنتهي أبداً، وأن إبليس لا يَكِل ولا يمل، وأن حركاته غريبة ومتجددة، وبعض منها يكاد يكون عجيباً جداً أن تصدر منه....

لكن إبليس لا يهمه شيء، المهم بالنسبة إليه الخاتمة؛ أن ينتصر في اللعبة، الوسيلة قبلها غير مهمة، من أجل أن ينتصر لا يهمه لو استعمل كل الوسائل، التي تبدو في ظاهر الأمر كما لو كانت تنتمي إلى الطرف الآخر من ا لرهان، الطرف المضاد لإبليس.

أقول ذلك لأن إبليس من أجل أن ينتصر عليك - أو علينا - في تلك اللعبة التي هي ملحمة حياتنا، مستعد لأن يستخدم آيات من القرآن، أو أحاديث للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

مفاجأة؟ ربما... لكن الغاية تبرر الوسيلة بالنسبة إليه، من أجل غايته تلك، فإن إبليس مستعد أن يلبس مسوح رجال الدين الأتقياء بكامل العدة، من الجبة الأنيقة إلى العمامة البيضاء، إلى اللحية المهيبة، ومستعد أن يملأ فمه بأبلغ العبارات والجمل التي تحض على الاتباع والطاعة.

... ولا تظن - أبداً - أنه يستعمل ذلك عن جهل،

وأنه مثلاً يستخدم الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة من أجل الترويج لخرافة ما تخدم أغراضه...

لا! صحيح أنه استخدم ذلك مرحلياً في فترة تاريخية ما، لكنه تجاوز ذلك الآن، إنه يستخدم الأحاديث الصحيحة، وصار له باع طويل في ذلك، بل يخيل إلي أنه أخذ درجة علمية ما - ماجستيراً أو دكتوراه - في ذلك، كل ذلك من أجل تزويق بضاعته وترويجها...

ما الذي أقوله؟ كيف حصل هذا؟ كيف صار إبليس أستاذاً للشريعة؟

من أجل أن يغلب على تلك الرقعة المربعة، من أجل أن ينتصر الأسود على الأبيض، إبليس مستعد لأي شيء.

☆☆☆

**بدأت الحكاية منذ زمن بعيد.**

كان يا ما كان، في قديم الزمان، كان هناك سلطان ظالم، يسمونه خليفة أو أميراً للمؤمنين، وكان هذا السلطان صاحب معاصٍ وكبائر معلنة ومحرمات منتهكة، ولم يكن ذلك يزعجه في شيء، كان والغاً في ملذاته ومنتهكاته وحياته الشخصية البعيدة عن تقوى الله وطاعته.

لكن الرعية، التي أزعجها ظلم الخليفة واستبداده قبل أن تزعجها كبائره، وجدت أن أمر هذا الخليفة عجيب، فلم يسبق لأحد من سابقيه أن أظهر المعاصي والكبائر وأعلنها كما فعل هذا بشكل استفزازي للرعية... وكانت الرعية خائفة، إذ إن الخليفة كانت له صولات وجولات في المجازر والبطش بمعارضيه، لكنها، ككل رعية في كل زمان ومكان، كانت تهمس، وتلغط، وتتحدث، نادراً، بشكل صريح، وفي معظم الأحيان بشكل غير مباشر.

... وكان ما يجري خلف الجدران في القصور، يجد مجالاً لكي يتسرب إلى الناس، والكثير منه كان يتضخم كما يحدث دائماً، لكنه كان يترك صدى سيئاً عند الناس.

... وبالتدريج، صار الأمر يحتاج إلى موقف، وبدأ الفقهاء والعلماء يتحدثون عن تصنيف جديد لما اصطلحوا عليه بـ(**مرتكب الكبيرة**) .كان النقاش والجدال يدور حول مرتكب الكبيرة: هل هو مؤمن؟ هل هو كافر؟ هل هو في منزلة بين المنزلتين، الكفر والإيمان؟ أم هل هو منافق؟

والحقيقة أن لفظة مرتكب الكبيرة كانت هي الاسم الحركي الذي يشفره الفقهاء والعلماء عندما يتحدثون عن أصحاب تلك الكبائر المعلنة من ولاة الأمور، ولم

يكونوا يصرحون بأسمائهم لأسباب لا تخفى، وكان ذلك واضحاً فيما بينهم، وواضحاً كذلك للرعية التي كانت تستوعب ما يدور.

لم يكن الخلاف حول مرتكب الكبيرة، خلافاً حول رجل الشارع العادي، الفرد المسلم الذي يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويزل هنا ويخطئ هناك... ثم يندم ويتوب ويعود إلى جادة الصواب... لا مشكلة فقهية أو عقائدية مع هذا الشخص، لأنه كان موجوداً ومتوافراً حتى في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن بنسبة أقل.

... المشكلة المستحدثة كانت مع الخليفة صاحب الكبائر، والكبائر المعلنة خاصة، المشكلة كانت مع أمراء للمؤمنين يحتمل أن يكونوا غير مؤمنين.

وكان التحدي الأكبر، الذي ظل يثير الجدل بين الفقهاء، أن هؤلاء الخلفاء والأمراء وولاة الأمر لو كانوا غير مؤمنين، فإن البيعة لهم ستكون باطلة، وهو أمر يقلب الأمور رأساً على عقب، **ويهدد شرعية الدولة من أساساتها وجذورها.**

كان الأمر ساخناً وجاداً، رغم أنه كان عادة ينقل بصورة باردة، كما لو كان الفقهاء ذات يوم لم يجدوا ما يفعلونه سوى الجدل المترف السفسطائي: تعالوا

نتجادل اليوم في مرتكب الكبيرة. ويحضر كل منهم أدلته وبراهينه وكتبه ومجلداته.

لا، لم يكن الموضوع Talk Show مترفاً لتمضية الوقت، بل كان صميمياً نابعاً من عمق الأحداث المحيطة بهم وحولهم.

وكان أيضاً: خطيراً يمس أمن الدولة!!.

☆☆☆

إلى هنا لم يكن الأمر يهم الخليفة المنغمس في ملذاته، ما ضر الكلام المعارض أسلافه، وليس من المحتمل أن يضره هو.

لكن عندما نصل للتكفير، الأمر مختلف. هنا حد واضح وقاطع، هنا خط أحمر لا ينبغي تجاوزه، هنا حقل من الألغام؛ التجول فيه انتحار لا شك فيه.

التفكير، يعني أن يطير الكرسي والمنبر والعمامة [والرأس الذي تحتها].

التفكير؟ كل شيء إلاه، **كل شيء إلا أن يقولوا، إنه كافر.**

☆☆☆

... وعندما بان الهم عليه وأخبر من حوله بالأمر، قالت له أمه: أما كنت سمعت نصيحتي واستترت بكبائرك ومعاصيك كما فعل والدك الذي لا يزالون يشهدون له بالتقوى والورع.

قالت له زوجته (أو واحدة منهن على الأقل): تستأهل! تتركني كل ليلة من أجل جارية جديدة أو غلام جديد، وفوق ذلك كله تجعل كل حراسي من الخصيان الذين لا يستطيعون تسليتي...

قال له رئيس طاقم الوعاظ والمهرجين والمفتين: إن الله قد أعطاك الملك، وهو يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء... وقد أعطاك الله الملك وعزك، فما هَمَّ ما يحكون ويتناقلون؟ لا مانع لما أعطى الله.

وقال له شاعره المفضل، مستمراً في ملحمة ثناء لا تنتهي أبداً:

أَحلماً نرى أَم زماناً جديداً؟ أَم الخلق في شخص حي أُعيدا؟
تجلَّى لنا فأضأنا به كأَنا نجوم لقينا سعودا

(أو شيئاً مماثلاً).

قال له وزيره - النخاس السابق -: عندي لك ثلاث جوار جديدات؛ واحدة رومية، وواحدة هندية، وواحدة مجهولة الهوية، وغلامان أمردان لم تنبت لهما الشوارب بعد، وهناك نوع جديد من الخمر وصل، وقد (ابتدع) للتذوقه، ومغنيك المفضل قد أعد لك

مجموعة من القصائد ليغنيها بهذه المناسبة، فامض معي واترك هذه الوساوس والمخاوف...

... ورغم أنه أختار أن يمضي مع الوزير ليداويها بالتي كانت هي الداء... إلا أنه ظل موسوساً، قلقاً، خائفاً..

**كل شيء إلا التكفير.**

☆☆☆

من المخدع الحريري، ومن بين الجواري والغلمان، وقبل أن يؤذن العصر، هب السلطان المخمور مذعوراً من النوم.

إنهم عادة لا يوقظونه قبل المغرب، فما الأمر الخطير الذي استجد يا ترى؟

ثم من هذا الذي يوقظه؟ إنه لا يذكره من بين الوزراء، ولا العبيد، ولا حتى من الوعاظ أو المهرجين أو الشعراء، وجهه يبدو مألوفاً، لكنه لا يعرفه، ولا يذكر أين رآه، وماذا سيتذكر وهو الذي عب ليلة أمس من الخمر دنًّاً، واستعمل كافة الوصفات ليثبت فحولته مع الجواري والغلمان؟..

كان هذا الشخص الذي يوقظه يرتدي ملابس الفقهاء والعلماء، كان ثابت النظرات حادها، لا يبدو

عليه التملق أو التزلف، أو أي من علامات المسكنة والترقق.

كان وضعه وضع الند فيما يرى.

تساءل السلطان: ما الذي أدخله إلى هنا.؟ كيف اخترق القصر؟ كيف سمح له الحراس بذلك؟

تراه جاء ليقتله؟ تراه واحداً من أولئك العلماء الذين أفتوا بتكفيره؟

برعب ينظر إليه، والرجل ينظر إليه بابتسامة واثقة على شفتيه، ابتسامة؟

لا - إذا رأيت أنياب الليث بارزة...

يقول له: **مشكلتك حلها عندي...**

☆☆☆

وكان ما يؤرق السلطان، ويثير باله وهمومه، يجد له حلاً وعلاجاً سحرياً، عند هذا الشخص (الذي تعرف جيداً) من هو.

كان حلاً سحرياً وناجعاً جداً، كانت وصفة توصف للمرة الأولى في التاريخ، لكنها ستظل تستعمل وتستعمل عبر القرون على تلك الرقعة المربعة التي يسمونها الكرة الأرضية..

... كانت الوصفة معدة لمرتكب كبيرة واحد؛ هو ولي الأمر، الخليفة، أمير المؤمنين، لكنها عممت لكل

مرتكبي الكبائر عبر خطوط الطول والعرض، وعبر القرون المتطاولة.

بدأت الوصفة مع قضية خطيرة تمس أمن الدولة...

لكنها انتهت لتمس الحياة اليومية لأولئك الناس العاديين الذين يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

وعندما وصفها - ذاك الذي نعرف من هو - كان مدركاً تماماً لذلك، كان واعياً أنها ستعمم، وتنتشر.

... وكان هذا هو المطلوب.

☆☆☆

تسأل عن تلك الوصفة؟ طالما سمعت بها، طالما سمعنا بها، طالما استعملتها، طالما وصفوها لك، وطالما أخرتك عن التوبة، وعن الذهاب إليه سبحانه وتعالى...

.... إنها واحدة من أهم نقلات إبليس وأنجحها وأخبثها في ملحمة الشطرنج اليومية التي هي قصة حياتنا بأكملها...

تسأل عنها؟ دوماً تكون مختفية خلف الحقائق، خلف كلمة حق، ولكن يراد بها أشد الباطل.

دوماً تتخذ من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة

ستاراً وغطاء لتبث أكثر أنواع السموم فتكاً... وتخديراً...

إبليس هنا يستخدم الشريعة كحصان طروادة، يخترق منه أسوار المدينة المحصنة وأبوابها المغلقة..

☆☆☆

**يا أخي، الله غفور رحيم. يا أخي، إن الله حرم النار على الموحّدين، وانت موحد والحمد لله.**

يا أخي، أُمة محمد كلها ستدخل الجنة.

يا أخي، إن شفاعة النبي أعدت لأصحاب الكبائر من أمة محمد.

يا أخي، الله واسع الرحمة، عظيم المغفرة، وهو أرحم وأعظم من أن يترك واحداً من أمة نبيه في جهنم.. بل سيخرجهم منها إلى ألا يبقى واحد فيها...

يا أخي، من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة...

يا أخي، من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان... يخرجه الله من النار...

وطبعاً الجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان... إلخ.

لقد سمعنا جميعاً كل ذلك..

... وطالما ثبطنا ذلك، وهبط هممنا، وجعلنا نتثاقل إلى الأرض بكسل ودعة.

... طالما جعلنا ذلك نستمر في معاصينا وكبائرنا ومهالكنا...

... طالما تأملنا الجنة، ونحن نعمل عمل أهل النار..

☆☆☆

**يقال ذلك كله، لأصحاب الكبائر... من أمة محمد.**

فلماذا يتوقع أحد أن يكفوا عنها؟

☆☆☆

... النصوص صحيحة، المعاني واضحة، لكن السياق مختلف.

على طريقة ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤﴾؛ تم اجتزاء النصوص من سياقاتها ومناسباتها ومواضعها لتعطي معاني سلبية مختلفة تماماً عن المعاني التي أنزلت من أجلها.

إبليس يتقن صنعته جيداً، إنه محترف، وبحذق يجمع خشبة من هنا وخشبة من هناك ليصنع ذلك الحصان الخشبي المتقن المتروك عند أسوار المدينة المحاصرة، وعندما يرحل الجيش عن الأسوار، يفرح أهل المدينة بفك الحصار، وبالحصان الجميل (الغنيمة)، ويدخلونه المدينة مستبشرين بالنصر... يعدون الحصان رمزاً لصمودهم وانتصارهم... جاهلين أنه مجوف، وفي داخله يقبع الجنود الذين

سيخرجون ليلاً من الحصان ويفتحون الأسوار للعدو العائد على الأبواب.

كذلك إبليس، لا يهمه إلا ما هو مهم؛ الخاتمة.. أما الوسيلة فليست مهمة، حتى لو كانت آيات قرآنية، وأحاديث نبوية.

☆☆☆

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون: ٢٣/٦٠] سألته - عليه الصلاة والسلام - عائشة عن الذين يؤتون ما آتوا؛ هل يزنون ويشربون ويسرقون وقلوبهم وجلة؟

فقال لها: لا عائشة بل يصلون ويصومون ويزكون، وقلوبهم وجلة، يخافون ألا يتقبل منهم.

- لا تعليق.

... واحد من أصحابه - عليه الصلاة والسلام - يقول: والله إنكم لتعملون أعمالاً ما تلقون لها بالاً كنا نعدها على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام من الكبائر..

الكبائر؟ سمعنا بها من قبل، لكن يبدو هنا أن المعنى مختلف.

☆☆☆

النصوص قطعاً صريحة... لكن لمن؟

من هم أصحاب الكبائر من أمة محمد؟ هل هم أولئك البعيدون، المنقطعون لها..

الوالغون في المعاصي، الخائضون في مهاويها ومهالكها..

أم إن هؤلاء أصلاً **ليسوا من أمة محمد؟**

أم إن أصحاب الكبائر من أمة محمد هم أولئك الذين يمشون على صراطه المستقيم، ولكن أحياناً تزل وتتعثر أقدامهم ويسقطون على وجوههم، ثم يقومون من جديد، وقد يتعثرون مرة أخرى، ويسقطون لكنهم يقومون ينفضون عن ثيابهم غبار الذنوب... ويواصلون على الصراط المستقيم.. على الصراط؟

لأولئك، لأولئك ذاتهم، الذين يصارعون، ويغالبون، وأحياناً يغلبون... وأحياناً يُغلبون، لأولئك تبدو الشفاعة مهيأة، والمغفرة معدة، ومكفرات الذنوب منطقية، من لدن ذلك الحكم العدل الذي لم يظلم أحداً.

☆☆☆

... وبعض أهم النصوص التي يتم إغفال بعض أهم مفرداتها من أجل تسهيل الأمور وتعميم بضاعة الرجاء الكاذب والأمر الزائف...

مثلاً تلك البشارة التي يتخذها أهل الكبائر كأفيون

يعلفونه للاستمرار في معاصيهم وتمني الجنة (من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة) تلك البطاقة التي يوزعها الوعاظ على المنابر منذ قرون، عادة تغفل لفظاً جوهرياً يغير السياق والمسار بأكمه:

من قالها **مخلصاً** دخل الجنة.

والإخلاص وحده مشكلة، معضلة، قضية كبرى، مسألة حياة أو موت.

إن ما يعدونه بشارة لهم، هو في حقيقة الأمر امتحان خطير، ربما يسقط فيه الجميع...

من قالها دخل الجنة... يبشرونهم ويوزعونهم... فيم العمل إذن؟ فليقولوها ويخلصوا ويدخلوا الجنة مهما عملوا من معاصٍ وإن لم يعملوا طاعات...

فليقولوها: جملة أخرى تدخلهم الجنة وتنجيهم من النار، ما هي؟ **لا إله إلا الله**، سمعوا الناس يقولون شيئاً فقالوا مثلهم.

ليست قضية حياة، ليست مسألة كبرى، لا، ليست امتحاناً.

مجرد جملة؛ بطاقة قيل لهم قولوها لتنجوا، فقالوها.

... وذات يوم، سيساقون إلى جهنم زمراً، فيضجون ويصيحون ويقولون: عندنا تلك البطاقة السحرية التي يفترض أن تدخلنا الجنة.

فيقولون لهم: إن تلك البطاقة مزيفة، وإنها لكي تعمل تحتاج إلى متطلبات كثيرة ليست متوافرة عندهم.

سيجيبون: إن أحداً لم يخبرهم بذلك، بل إنهم أخبروهم بعكس ذلك.

وسيلتفتون فإذا الذين قالوا ذلك معهم... يساقون إلى جهنم معهم، بل قبلهم...

وسيقال لهم: إن القانون لا يحمي المغفلين...

وسيردون: لو كنا نسمع أو نعقل... ما كنا من أصحاب الجحيم..

☆☆☆

بدأ الأمر بتلك الوساوس التي أنقذت أمير المؤمنين من حكم التكفير...

لكن الأمر لم ينته هناك قط؛ فالفتوى انتشرت، ومعها حصان طروادة الذي تلقفه الناس وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً...

بدأ الأمر مع أمير المؤمنين، اليوم حتى الساقطات في الشوارع يقلن: إن الله غفور رحيم. كلمة حق يراد بها باطل... كلمة حق يراد بها زج الناس إلى هاوية لا قرار لها...

بدأ الأمر مع أمير المؤمنين، وانتهى مع مجتمع كامل

يساق إلى ذلك الفصل الكامل والنهائي بين الإيمان والعمل، رغم كل ما يقولونه... رغم كل ما يدعونه..

**لقد كانت حركة موفقة من إبليس، فلنعترف.**

☆☆☆

لم يكونوا كلهم منافقين، أو مرتشين، بل كان هناك من أولئك الوعاظ الذين روجوا لهذه الفكرة ناس طيبون، صادقو النية، ومخلصون...

وكانوا يروجون لما يتصورونه حقيقة، يساعدهم على ذلك تلك القراءة الانتقائية للنصوص، وذلك الفهم الذي يجتزئ النصوص من مواضعها ومواقعها...

لكن، للحق لم يكونوا كلهم مأجورين، وإن كان هناك منهم من هو كذلك فعلاً..

ولا يزال الأمر لليوم معقداً ومتشعب الجذور والفروع جداً..

ولا يزال خطيراً جداً، لقد كان يمس أمن أمير المؤمنين آنذاك...

أما اليوم، فقد صار يمس أمن المؤمنين جميعاً؛ أمنهم هناك، في اليوم الآخر...

أمر كهذا، مفهوم كهذا، أقول لك: يستحق أن يخطف الإنسان طائرة، ويقودها ليرتطم به، ويحطمه، ويحيله إلى أنقاض...

تحطيم أمر كهذا يستحق أن يقدم المرء حياته من أجله، لا أن يقدمها من أجل تحطيم مبنى سيعاد بناؤه بكل الأحوال وسيقتل فيه ناس أبرياء...

للأسف الآن عندي أمر آخر، **لكن ذكرني فيما بعد، ان أختطف طائرة، وارتطم بهذا المفهوم....**

☆☆☆

عندما تنوي الكبيرة، وتكاد تقدم عليها، وفي خلفية عقلك تلك الصورة التي رسمتها مخالب إبليس عن رحمة الله ومغفرته... وبينما تتقدم، ويكاد هو أن ينقل تلك النقلة التي ستقتلك..

توقف... وتذكر؛ لقد طرد إبليس لأنه ترك السجود مرة واحدة فقط...

وأخرج آدم من الجنة، بلقمة واحدة تناولها، وأمر بقتل الزاني بإدخال ما لا يتجاوز طوله بضعة سنتمترات فيما لا يحل، وأمر بإيساع الظهر بالسياط بكلمة قذف أو قطرة من مسكر.

وأمر بقطع عضو من أعضائك، بسرقة ثلاثة دراهم... لقد أدخل الله امرأة إلى النار في هرة، وإن الرجل ليقول الكلمة - لا يلقي لها بالاً ولا ينتبه لها - فإذا بها تهوي به سبعين خريفاً في جهنم..

لذلك كله أقول: لا تأمن أبداً، ممكن جداً أن يحبسك في النار بواحدة من معاصيك.

رغم أنه غفور رحيم، لكنه أيضاً شديد العقاب.

☆☆☆

ومن نقلاته الناجحة على تلك الرقعة المربعة، أنه يحاول أن يخوفك أكثر مما يجب، يخوفك من عذاب الله وعقابه، ومن معاصيك تحديداً، لدرجة يجعلك يائساً تماماً من رحمته. يخوفك لدرجة عدم التفكير، لدرجة أنك ترفض حتى التفكير بالموضوع.

تهرب من المواجهة بمزيد من النوم، من الانغماس في حياتك وفي معاصيك، ربما لتنسى، وربما لأنه سيقنعك أنك هالك لا محالة، فاستمتع بحياتك الدنيا على الأقل. سيخوفك لدرجة اليأس... وعندما يوصلك لليأس سيتركك هناك، وعندما يتركك هناك سيجعلك غير قادر على المواجهة، على التفكير، على التغيير..

سيجعلك تخطئ.

سيجعلك تيأس، بالضبط كما يأس الكفار من أصحاب القبور.

وسيضيق صدرك من أي تذكرة، من أي كلمة نصح أو موعظة.

فإنك ساقط في الامتحان لا محالة، لذلك فإنك لا تحاول أن تستعد له...

... لقد أوصلك إلى هذه المرحلة.

☆☆☆

ولكن ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾...

بين الخوف والرجاء موازنة دقيقة، موازنة هي في حقيتها جوهر معادلة الإيمان.

إنها قطبا الموجب والسالب، (الكاثول والأنود) في بطارية لا يمكن للإيمان أن يكون حقيقياً وفاعلاً دونها.

موازنة متعادلة ودقيقة، بين الخوف والرجاء، دوماً يحاول إبليس أن يلعب عليها ليربكها، الخوف الزائد سيحبط ويؤدي إلى القنوط السلبي الذي لا يؤدي إلى أي عمل... والرجاء الزائد سيؤدي إلى تثبيط العمل وإلغائه...

الموازنة بين الموجب والسالب في معادلتنا هذه، هي التي تؤدي غالباً إلى انتصار الأبيض على الأسود على الرقعة المربعة.

☆☆☆

... وسيدخل إليك إبليس تعيس من باب آخر، في نقلة أخرى، تحقيق دوماً النجاح...

إنه يستغل الكسل؛ يدخل إليك منه، ويستغل كونك متعباً ومرهقاً بعد يوم طويل، فيقتحمك ويزين لك الدعة والراحة، ويغزوك بثلاثة جنود لهم باع طويل في محاربتك وجرك إلى الهاوية، أسماؤهم: **لعل، سوف، وعسى...**

سيظل هؤلاء دوماً في خلفية عقلك، يهمسون في أذنيك، وأنت مرهق، تعب، سيقولون لك (ستتصور نفسك أنك أنت الذي تقول): سوف أصلي بعد قليل، سوف أرتاح قليلاً ثم أصلي بعدها، أتناول طعامي ثم أصلي... وتغط في نوم عميق لا تصحو منه إلا بعد فوات الأوان.

سوف ألتزم بالصلاة فيما بعد... أنا صغير الآن، سوف أكبر وألتزم، عسى أن يكون ذلك قريباً.

سوف أكون ملتزماً جداً، وسوف أصلي الفرض بوقته، لكن فيما بعد.

سوف أمتنع عن المعاصي فيما بعد، لا أزال شاباً والحياة أمامي طويلة، كل الملتزمين التزموا عندما كبروا، لكني عندما سوف ألتزم، سألتزم تماماً... وسأكف عن كل المحرمات...

... سوف أصلي في الجامع، الآن أصلي في البيت، أتعود على ذلك لفترة، ثم سوف أصلي الجماعة بالتأكيد، متى؟ الله أعلم، لكن النية موجودة، وسوف

أصلي، لعل الله يكتب ذلك غداً، عسى أن يكون ذلك قريباً.

لن يخص التسويف مسألة الصلاة والالتزام فقط، بل سيجعلك أسيراً داخل سلبيتك وكسلك وعجزك عن مواجهة ظروفك، ومن ثم عاجزاً عن تغييرها..

**سوف، وسوف، وسوف**، وبالتدريج سوف يقتلك سيف التسويف، سوف يسحب من تحتك بساط الزمن...

سوف يمر الوقت وأنت تسوف، وبالتدريج سوف تتعود التسويف، سوف يصير ذلك طبعاً في داخلك، سوف لا تأخذ القرار، سوف لا تحسم الأمر، سوف يضيع العمر وأنت كذلك؛ تقول: (غداً)، أو (بعد غد)، و(النية صافية وموجودة)، و(الأعمال بالنيات)، و(لعل ذلك يفيدني)، و(عسى أن يرحمني الله بتلك النية).

**سوف لا ينفعك ذلك.. سوف ترى..**

لقد هلك المسوفون؛ أولئك الذين انقضى عمرهم، وهم يسوفون، ويأجلون، ويتكاسلون ويقولون: غداً، أو بعد غد. وهم لا يدرون أن تلك ا لكلمة (سوف) هي التي أردتهم في هاوية لا قرار لها ولا مستقر...

سوف يعلمون ذلك، وسوف يندمون، لكن ذلك آنذاك، سوف لا ينفعهم...

فقد سحبت (سوف) بساط الزمن من تحت

أقدامهم... وتركتهم يسقطون... متى سوف يصلون إلى عمق جهنم؟

لا أدري... سوف يصلون.. ربما غداً، أو بعد غد...

أم تراهم لا يصلون؟؟

ويظلون... يسقطون... ويسوفون؟؟

☆☆☆

يا صديق، من بلادة الكسل، من بساط الروتين، من خيوط العنكبوت الرتيبة التي تنسج حول التفاصيل، يدخل إبليس ليهزمك في نقلة واحدة، قد يحبطك بعدها إلى الأبد...

... وعندما رجعت إلى منزلك ذات مساء، كما رويت لي قبل فترة، متأخراً متعباً... وكنت لم تصل العشاء بعد، وكنت مرهقاً لدرجة أن الصلاة كانت تبدو عملاً شاقاً، والجزء المفهوم - الذي لم تقله - أنه عندما حان وقت الصلاة وكنت أنت خارج المنزل فإنك **سوفت**، وقلت: سوف أصلي فيما بعد، وطبعاً لم تذهب لتصلي في أقرب جامع، طبعاً خجلت من أن تصلي في المكان الذي كنت فيه، لاحظ أن كل هذه إنما هي استدراجات إبليسية متقنة ومعروفة.

ومن ثم أوصلك لتلك النقطة، كسل، تعب، وإرهاق،

وساعة متأخرة من الليل وتريد أن تنام، وأربع الركعات - التي يفترض أن تريحك - صارت تبدو كعمل شاق لا تستطيعه.

وتستلقي على السرير، قلت لي: إنك قلت في نفسك: إنك لن تصلي، [**اخطأت، إنه إبليس الذي قال، ولكن على لسانك**].

ولأنك كنت مرهقاً فإنك لم تسمع تلك القهقهة الساخرة التي دبت في أرجاء الطابق، كانت ضحكة إبليس الماكرة الخبيثة، لقد تمكن منك - أو هكذا اعتقد - وتصور أنه أنهى اللعبة، وأخذ يلم حاجياته وأغراضه، حتى رقعة الشطرنج كاد يلمها...

لقد اعتبر اللعبة منتهية، لقد تمكن منك.

... وعندما كنت تروي لي ما حصل، كادت أنفاسي تتوقف، عم الصمت المكان.

خيل إلي أن دقات قلبي صارت مسموعة مثل طبل إفريقي مجنون...

كنت أتنفس وقلبي يدق في انعدام الوزن، والجاذبية والزمن.

وفهمت ما معنى أن يكون فؤاد أم موسى فارغاً..

لكن اللعبة لم تنتهِ؛ فشيء ما في داخلك ظل يتحرك، إنها نقلتك بمواجهة نقلته، الأبيض بمواجهة الأسود، الكرة في ملعبك، والنقلة نقلتك.

شيء ما تحرك فيك، رغم التعب والإرهاق، والساعة المتأخرة، والكسل..

... ورغم إبليس الذي يجري من بني آدم مجرى الدم.

شيء ما تحرك هناك، ومنعك من النوم، رغم التعب والإرهاق... والنعاس.

مثل نحلة قارصة في دماغك، ظل ذلك الشيء يتحرك، ولم تستطع النوم.

ظللت تتقلب على فراش صار كله أشواكاً...

... الأشواك من تحتك، والحشرة تقرص في رأسك، أين المفر؟

وقمت!

قمت عن فراشك ومشيت على قدميك، إلى السجادة، وصليت.

لقد قمت وصليت!

أهم وأقوى وأنجح نقلة قمت بها على رقعة الشطرنج المربعة.

وتقول: إنك صليتها كيفما كان، وإن، لو تدري كيف كان إبليس لحظتها.

لقد صعق... جمد.. ظل صامتاً لا يستطيع شيئاً، لقد كان على وشك الرحيل قبل أن تقوم لتصلي، كان يعتقد أنه قد تمكن منك...

لكنك قمت وصليت...

تتوهج روحي، تتألق عيناي، يرتجف قلبي وأنا أسمع القصة... قبل أن أصعد إلى السموات السبع، أسمع صوتاً يقول - لعله صوتك-: **كش ملك أيها الشيطان الرجيم...**

☆☆☆

... ومن أذكى نقلاته التي تقتل ملكك وتنهي اللعبة، أن يدخل عليك بمنطق زئبقي مراوغ ومناور، ينزلق على أفكارك ويتزحلق عليها لتتزحلق معه، وتجد نفسك قد انزلقت إلى الدرك الأسفل من النار عبر هذا المنطق المغلف الذي قد يبدو في البداية كما لو كان حريصاً على الدين، غيوراً على حرماته وشرائعه.

... ستكون لك - كما لأغلب الناس - معاص، ولكنك تملك أيضاً قلباً يتوق ويشتاق إلى الالتزام.

عند لحظة الصراع تلك، سيتدخل بمنطقه الزئبقي الماكر، ليحسم الأمر.

عند مفترق الطرق، قبل الصراط المستقيم - كما وعد - سيقف هناك.

عند الحيرة والتردد، عند التمزق والضياع، المعاصي تشد من جهة، وذلك الشعور الخافت النابت بالإيمان يشد من جهة ثانية.

سيأتي ليقمع ذلك الشعور النابت بقوة، سيقول لك: **إما الالتزام كاملاً، أو لا.**

مثل صديقك الصغير ذاك؛ إنه لا يصلي لأن لديه معاصي معينة تتعارض مع الصلاة، وهو لا يخطو خطوة نحو الله، لا يصلي ليمسك ذلك الحبل الذي يشده إلى الله، ويقطعه... لماذا؟؟ لأن لديه معاصي تتعارض مع ذلك الحبل...

إنه لا يدري أنه لو تقرَب إليه شبراً، لتقرب إليه ذراعاً، ولو تقرب إليه ذراعاً لتقرب إليه باعاً، ولو ذهب إليه مشياً، لجاءه هرولة.

إنه لا يدري أنه إذا ذهب إليه - رغم معاصيه - فإنه سيسهل عليه تركها...

وإنه لا يدري أيضاً أنه إذا ذهب إليه يجعل له مخرجاً...

مسكين، لم يخبره أحد بذلك، بل بدلاً عن ذلك أخبره إبليس أنه لا يستطيع أن يصلي إذا كانت لديه معاص؛ إما الالتزام كاملاً أو لا، فالأفضل أن تترك المعاصي أولاً، ثم تصلي... قال له إبليس - عند مفترق الطرق قبل الصراط-: إياك أن تمشي على الصراط قبل أن تتخلص من معاصيك، إياك. إياك.

ابق حيث أنت... كيف تصلي وأنت لا يزال عندك كذا وكذا... كيف تقابل ربك وأنت معك كذا وكذا، امتنع أولاً عن هذه الأمور، ثم تعال...

ابق حيث أنت الآن، ثم نحن بانتظارك.

ويبقى المسكين حيث هو، وتكون جهنم بانتظاره.

☆☆☆

.... ومن نقلات إبليس الذكية وحركاته الناجحة، أن يجعلك تستهين بذنوبك، تحتقرها، هذه صغيرة، وهذه غير مهمة، وهذه لن يحاسب الله عليها، وهذه من اللمم.. وهل معقول أنه سيعاقبنا على هذه؟ الزمن تغير، والله سيتجاوز بالتأكيد عن صغائر كهذه..

... وقد تكون حياتك عموماً فيها طاعات كثيرة، لكن فيها معاص تعودت أن تستصغرها، تعودت أن تحتقرها، وتحط من شأنها، تنسى حتى أن تستغفر عنها، نظرة هنا، ما هو أكثر بقليل هناك، غيبة هنا، وغش قليل هناك.

تقول في نفسك: المغريات كثيرة، وغيري يزنون، أنا أنظر فقط [أو ما هو أكثر بقليل فقط!]. أو التجارة حلال وهي شطارة ومغالبة، هذا الغش ليس حراماً... إلخ.

شيئاً فشيئاً ستتكون الذنوب التي عودك إبليس أن تحتقر وتستصغر، لا تلقي لها بالاً، لا تفكر في تركها، الذنوب التي تمارسها ولا تستغفر عنها لأنك لم تعد - من كثرة التكرار - تعدها ذنوباً، لم تعد حراماً..

لقد صارت حلالاً، صرت تحللها.

وسوف يشدك ذلك برغم طاعاتك إلى الدرك الأسفل، إلى الهاوية السحيقة، إنها محقرات الذنوب التي حذر الرسول عليه الصلاة والسلام منها: إياكم ومحقرات الذنوب. إنها أعواد الخشب المتفرقة التي لا تخيفنا ولا تقلقنا، لكنها شيئاً فشيئاً تتكون وتتجمع فإذا بها قد صارت كوماً هائلاً من الحطب، ها هي النار تشتعل فيه.

وها أنت ترمى فيه.

☆☆☆

... وسوف يدخل إليك من تلك الوساوس والمخاوف، إنه قلق عليك، إنه يريد مصلحتك، إن أمنك وسلامتك يهمانه تماماً، ولذلك فهو يؤكد لك أن الصلاة في الجامع مسألة خطرة، لماذا تذهب إلى الجامع؟ لماذا يأخذون عليك نظرة؟

كلها صلاة... وصل في البيت، أولاً من أجل ألا يكون في صلاتك رياء، وثانياً من أجل ألا تتورط في شيء خطر.

سيهمس في أذنك الوسواس الخناس، الحساس اللحاس: هؤلاء المتدينون منافقون، يستغلون دينهم لأغراض أخرى، إن دينهم محض ستار، ربما تجارة وربما سياسة.

سيجعلك تتوهمهم مرتبطين بتنظيمات سرية، ومؤامرات ومخططات جهنمية، وأموال تأتي من الخارج، وجهات خارجية تمول (وجهات داخلية تراقب طبعاً..!!).

فلماذا تصلي في الجامع؟ ما بها الصلاة في البيت؟

إرهابيون؟ إنه هو الإرهابي الأكبر في التاريخ، وهو يرهبك بهذا الأسلوب ليجعلك وحيداً، ومعزولاً، ليفترسك كما يفترس الذئب من الغنم القاصية.

... ورغم أن اللعبة شطرنج... كما تعلم، إلا أنه من أجل أن ينتصر فيها يوهمك أنها لعبة من ألعاب المغامرات، تجسس واختطاف ورصاصات طائشة وأخرى غير طائشة..

وعندما ستصدق ذلك، سيكون قد انتصر، وسيقع ملكك في أسره.

فلا تكن سخيفاً وتصدقه.

☆☆☆

... ويدخل إليك أيضاً من ذلك الحاجز المنيع العميق في أعماقك، في أعماق لاوعيك وعقلك الباطن.

ستكون قد التزمت وجددت تأثيث حياتك بالطاعات والعبادات، وتركت المعاصي والكبائر... وبدأت من جديد... لكن في الأعماق، يلعب إبليس لعبته، وينتصب ذلك الحاجز الذي ستظل ربما خلف أسواره من غير أن تدري...

سيجعل توبتك ناقصة، سينفخ في داخلك الكبرياء، لا ندم، لقد كبرنا وعقلنا.

لا ندم! مرحلة وانتهت. لا ندم! شقاوة شباب وتجارب لابدَّ منها، لكن، لا ندم.

ضرورات المراهقة والرجولة، أمور طبيعية في وقتها، ولا ندم!

ولكن عندما (لا ندم)، (لا توبة)، رغم الانقطاع عن المعاصي وأثاث الطاعة الجديد الذي فرشت به حياتك...

عندما (لا ندم)، رغم الانقطاع، لا يحذف الماضي من الحساب... لا يحذف، بل يبقى قائماً في القائمة، ويثقل القائمة... وعندما تغرق السفينة ويرمون إليك بطوافات الإنقاذ - طاعاتك وعباداتك اللاحقة - تفاجأ وأنت تتعلق بها أنك لا تطفو، لأن في جيوبك

دون أن تدري، أثقالاً هائلة هي ماضيك الذي منعك غرورك أن تندم عليه...

ستتنفس قليلاً تحت الماء، وقبل أن تغرق، تغرق، تغرق، ستتمنى لو أنك ندمت حقاً...

منطق أعوج، كبرياء أجوف، غرور فارغ، وسيلعب إبليس لعبته: لا ندم.

وإذا بك تغرق.

فاندم إذن، من أجل ألا توسخ أدران الماضي الأثاث الجديد.

ومن أجل أن تقطع عليه نقلته الخبيثة... وتقلبها عليه...

☆☆☆

.. لكن أخطر نقلة وأخبثها وأذكاها، لم آت عليها بعد.

إنها الأخطر لأنها الأشمل، تضم وتحوي كل النقلات والحركات السابقة.

والأخبث لأنها الأخفى والأكثر مكراً وخديعة ودهاء، تتسلل بهدوء كما الأفعى، وتلتف بعنقك مثل حبل المشنقة.

والأذكى لأنها تعتمد أساليب متعددة ومتنوعة، ولا

تدري بنفسك إلا وقد سقطت في شراكها، وإذا بملكك قد سقط أسيراً ذليلاً أو قتيلاً كسيراً..

وتكون بالتدريج، بالتدريج، بالتدريج.

☆☆☆

عن ذاك الوباء المستشري أتحدث.

عن ذلك المرض شديد الفتك، قوي المناعة، عظيم المقاومة لكل الأدوية والعقاقير، أتحدث.

عن مرض يقتحمنا، ويواجهنا، ويدخل بيوتنا ورؤوسنا، ينام في أسرتنا، ويسكن على أجسادنا، ويأكل معنا الطعام، ويشرب معنا الشراب، وإذا نمنا يسكن أحلامنا وكوابيسنا، وإذا صحونا يستيقظ معنا فيحتل صحونا ويجعلنا نحلم به في يقظتنا...

إنه مثل (الفايروس) المهجن؛ لا شيء يوقف تناسله وتكاثره، تتضاعف أعداده في أسوأ الظروف، [بل إن أسوأ الظروف هي مكانه المثالي للتناسل..].

... لا يخلو بيت منه ولا عائلة، (حتى لا أقول: لا يخلو فرد منه).

عن ذلك المرض الذي يحاصرنا عن اليمين والشمال ومن الأمام ومن الخلف، رغم أن أحداً لا يشكو من أعراضه، ولا أحد يراجع الأطباء من أجل الشفاء منه... رغم أنه أخطر من معظم الأمراض

التي يسرع بسببها الناس إلى المشافي والعيادات بحثاً عن علاج.

عن مرض قاتل، وفتنة عظيمة، ونقلة جبارة على تلك الرقعة المربعة التي يسمونها الكرة الأرضية، أتحدث.

مرض اسمه: من دون المزيد من اللف والدوران: **حب الغرب.**

☆☆☆

عن ذلك الانبهار - المرض المذل - بكل ما هو غربي.

عن ذلك الافتتان - السلبي المقيت - بكل ما هو صادر من هناك.

عن ذلك الإعجاب - الذليل - بكل ما هو مستورد من هناك، أو قادم من هناك حتى لو كان غازياً قاهراً مستعمراً...

عن ذلك التقليد الهزلي الذي نقترفه من أجل أن نصير أقرب إليهم، أن نصير منهم، أو على الأقل نشبههم.

إذا كان الاتباع حباً، فاسمه **حب الغرب.**

وإذا كان الاتباع تعبداً وعبادة، فاسمه **عبادة الغرب.**

☆☆☆

عن غراب ترك قبيلة الغربان، وصبغ ريشه الأسود بالألوان المتعددة، أملاً أن يصير طاووساً زاهي الألوان..

عن ذلك الغراب المعقد، الذي فقد انتماءه للغربان، ولكنه لم ينتم للطواويس، عن غراب (بين بين) لا هو إلا هؤلاء ولا هو إلى أولئك.

عن غراب مذبذب، تافه، وفارغ، أتحدث.

☆☆☆

كنا في قمة انحطاطنا، كنا في أسوأ أحوالنا، على تلك الرقعة المربعة.

كان ملكنا محاصراً وجنودنا أسرى، وقلاعنا مهانة، وخيولنا تستعمل لنقل مؤونة العدو.

كان سلاحنا ذليلاً، أسيراً، عند العدو.

كان الوضع سيئاً للغاية.

كنا مثل قبيلة بدائية في مجاهل إفريقية لم تشهد من قبل أي مظهر للحضارة، وفجأة جاءها الكشافة الأوربيون البيض.

كان معهم (الكاميرا) أو الضوء الكهربائي الساطع، والسيارة الحديثة، والمسدس سريع الطلقات..

وكان لا بد لأفراد القبيلة أن يعدوا الأوربيين من

نسل الآلهة في السماء، أو هم الآلهة شخصياً قد نزلت من سمائها إلى الأرض، في مجاهل الغابات..

كان لا بد لهم أن يركعوا.. أن يسجدوا.. أن يتعبدوا للغرب المتفوق على قبائل البدائيين..

تلك هي قصتنا، غراب بين بين.

وقبيلة من البدائيين تتعبد الكشافة البيض الأوربيين.

☆☆☆

كل ما في حياتنا ينطق بأعراض هذا المرض ويشير إليه.

كل ما فيها بإطلاقها، نجد فيه ما يشير إلى هذا المرض، من المهد إلى اللحد، ومن التراب إلى التراب.

في كل تفصيل من تفاصيل حياتنا نجد هذا المرض مستفحلاً ومستشرياً؛ في ملابسنا، في طعامنا، في لهونا، في كل قضية من قضايا حياتنا. الغرب هو المقياس، الغرب هو الحكم، الغرب هو القبلة.

☆☆☆

تتجه السجادة؛ عندما نصلي - نحو القبلة - نحو الكعبة في مكة.

فهل تتجه القلوب نحوها أيضاً؟.

هل تتجه الحياة نحوها هناك، بين الجبال في الصحراء القاحلة ؟.

هل تتجه العقول، ويتجه السلوك، ويتجه الضمير والوجدان نحو القبلة في مكة ؟.

هل تسير حياتنا، بمفرداتها وقضاياها وطروحاتها نحو القبلة؛ الكعبة ؟.

هل قبلتنا هي القبلة فعلاً؟.

أم إنها مجرد وضع جغرافي للسجادة؛ مائلة قليلاً نحو اليمين أو الشمال، بزاوية محددة هنا أو هناك.

لكنه محض وضع للسجادة، وضع يتحدد بخطوط الطول والعرض، وتحدده بدقة البوصلة، وبعض أنواع من السجاد تمتلك بوصلة خاصة بها، لسرعة تحديد موقع القبلة ..

لكن هذه القبلة، ويالالأسف ليست قبلتنا.

إنها قبلة السجادة فقط، إنها وضع السجادة بالنسبة إلى خطوط الطول والعرض .

لكن نحن، يا نحن، مهما وقفنا على السجادة، القبلة قبلة السجادة.

مهما عدلنا ودققنا من وضعها - مائل نحو اليمين أو الشمال - فإن حالنا المائل يتجه نحو مكان آخر؛ نحو مقياس آخر، وحكم آخر، وقبلة أخرى..

فلنقف مع أنفسنا في لحظة صدق : صحيح أن السجادة تتجه نحو الكعبة، لكن نحن، أين نتجه، أين نتطلع حقاً، أين هي وجهتنا؟.

هل حقاً نوليها صوب تلك الجبال الجرداء، في ذلك الوادي الذي بلا زرع في الصحراء اللاهبة، بكل ما يحمل ذلك من معان وقيم ومفاهيم؟ أم إننا نتطلع ونتشوق ونتوجه نحو مجتمع آخر، بضمان اجتماعي ودخل فرد عالٍ، وجواز سفر يسهل الدخول إلى أي دولة من دون تأشيرة؟.

فليعترف القلب: أين يريد ؟. جبال مكة الجرداء، أم جبال الألب الخضراء ؟.

بلحظة صدق، فلنقرر - رغم وضع السجادة - أين هي قبلتنا ؟.

☆☆☆

.. في كل يوم، نقف أمامه ونطلب منه أن يهدينا صراطه المستقيم...

صراطه هو؛ لا صراط غيره، لا الضالين ولا المغضوب عليهم.

بتبلد. دونما إحساس. دون فهم، نطلب منه ذلك، كشيء روتيني لا بد منه...

إذ لا تصح الصلاة دون هذا الطلب ذاته، ولذلك

فنحن نطلب منه (اهدنا الصراط المستقيم) بألسنتنا التي تتحرك دون أن تعي ما تقول..

والله نكذب. والله نكذب. والله نكذب.

واقع حالنا وحياتنا يمشي ويسير نحو صراط آخر، بل يريد المزيد منه...

يريد الوصول إليه، والتماهي معه؛ إنه صراط الغرب العظيم، صراط الحياة الغربية، صراط الحضارة والرقي والتمدن، صراط الغرب الذي صنع كل شيء وأحسن كل شيء صنعه..

نقول : اهدنا الصراط المستقيم. ونقول بعدها : آمين.

نكذب !.

حياتنا نسيرها على الصراط الآخر؛ نحو المزيد من الصراط الآخر، باتجاه تقمص الصراط الآخر.

هل هو صراط المغضوب عليهم، أم صراط الضالين؟؟.

أي شيء، لكنه ليس صراط الذين أنعمت عليهم، بالتأكيد.

☆☆☆

من التفاصيل الصغيرة إلى القضايا الكبيرة في حياتنا، دخل الغرب ليخالطها ويصير جزءاً أساسياً من كل جزيئة وكل ركن وكل زاوية وكل معنى..

دخل الغرب في ملابسنا؛ الأناقة والموضة وخطوطها وتعرجاتها. وما يقرره سيغيره بعد ستة أشهر، فنهب مسرعين مستغفرين تخلفنا وبشاعة ذوقنا..

دخل الغرب في سلوكنا : (الإتيكيت) الغربي وآداب السلوك الغربية هي القمة في الرقي والتحضر، وبعض منها يكون مفرطاً في السخف والغباء، لكن excuse me، إنها غربية، وما دامت كذلك، فهي ما نقلده ونسلكه..

ودخل في طعامنا : تذوقهم للطعام صار ذوقاً لنا، ما هو ضروري لإيقاع حياتهم السريعة، وما هو منسجم مع متطلبات جوهم صار لزاماً ولا بد أن نأكله. قوائم طعامنا ملآنة بالأطباق الغربية، كأنهم اخترعوا الطعام، وقبلهم لم نكن نأكل، لعلنا كنا جياعاً نقتات على الحشائش وما تنبت الأرض..

دخل الغرب في أدق خصوصياتنا؛ في تفاصيلنا الخاصة؛ أشدها حميمية، في سرير الزوجية وخارج الزوجية. اللذةُ ما يلتذ به الغرب، المتعةُ متعة الغرب. كأن أجدادنا لم يعرفوا الحب قط، كأنهم ما أحسوا باللذة ولا بالشهوة ولا بالمتعة، كل التفاصيل غربية..

كأننا قبلهم لم نعش، لم نتنفس، ولم نعرف طعماً للحياة، قبل أن يأتوا غازين، قاهرين، فاتحين..

نحن أفراد القبيلة البدائية، في مجاهل غابات

جاهليتنا، وهم الكشافة الأوربيون البيض؛ عندهم سيارة و(كاميرا)، ومسدس سريع الطلقات..

.. ونحن نسجد لهم. نطوف حولهم. ونسبح بحمدهم.

☆☆☆

﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢/٩٣].

وأشربنا في قلوبنا الغرب.. برفضنا لصراطنا، ببحثنا عن صراط آخر، بالفراغ الذي في قلوبنا، دخل الغرب ليتشرب فيها، ليخالطها كما الأصباغ تخالط الثياب فتصير جزءاً منها..

أشربنا في قلوبنا الغرب، حتى صار جزءاً منها، دخل في أليافها. في كل شغاف من شغافاتها. دخل في صماماتها، في شرايينها، وأوردتها.

وقلنا : اهدنا الصراط المستقيم، ولكن كذبنا؛ وبحثنا عن صراط آخر - ربما المغضوب عليهم وربما الضالين.

وقلنا : سمعنا وعصينا - لقد أشربنا في قلوبنا العجل.

فبئس ما يأمرنا به إيماننا، هذا إن كنا مؤمنين.

كأن لا اتجاه في العالم إلا الغرب.

كأن الشمس عندما ذهبت لتغرب، بقيت في الغرب.

[ وما حاجتنا إلى الشمس وعندهم في الغرب أضواء النيون وأضواء الإعلانات الساطعة؟.].

كأن هذا العالم كله، ليس سوى الغرب.

كأن الغرب يحمل على كتفيه العالم، وإذا تركها سقط العالم في الفراغ المطلق.

لقد أشربنا في قلوبنا الغرب.

نتجه غرباً. نتيه غرباً. نتخبط غرباً. نثمل غرباً. ننتحر غرباً. وعندما نموت فإننا نموت غرباء - غرباً.

☆☆☆

يدخل الغرب في صميم العلاقات عندنا؛ في علاقتنا بأنفسنا، ببعضنا البعض، في علاقتنا بربنا.

فجأة نصير نسخاً مشوهة مما يريده الغرب، فجأة تصير علاقتنا بأنفسنا مادية تماماً؛ لا نفكر إلا كما يفكر الغربيون بأنفسهم؛ المزيد من الملابس، المزيد من الترف والكماليات، المزيد من إرضاء الحاجات الجسدية. فجأة تصير الراحة النفسية مرادفة لإرضاء النوازع والرغبات والمتطلبات المادية.. تصير عبارة (الروح) قديمة ومنقرضة وغريبة الأطوار، كما لو كانت كلمة قالها شخص مجنون هارب من المصحة.

وتصير علاقتنا ببعضنا البعض نسخة من علاقاتهم فيما بينهم؛ تحكمها المصالح وتضبطها المادة، وفي أحسن الأحوال: قضاء لوقت ممتع، وانتهى.

ويصير الحديث عن المحبة في الله، والأخوة في الله، غريباً ويحتاج إلى شرح وتوضيح ودفاع وتبرير، ومن الأفضل والآمَنِ عاقبةً السكوت عنه، لأن أحداً لن يفهمه.

... وتصير علاقتنا بعوائلنا محكومة بالإرث وبالاستقلال المادي وبالمصالح المتبادلة - أو غير المتبادلة - والحديث عن صلة الرحم كالحديث عن العنقاء والغول والخل الوفي.

... وعلى قمة هذا كله، تأتي علاقتنا بربنا لتجسد انفصاماً لم نعاصره، وتجربة لم نمر بها، إنه ذلك الانفصال اللئيم بين الدين والحياة، هذا التحييد القسري الذي دفع بالعبادة دفعاً إلى الأركان البعيدة الهادئة.

فجأة صارت علاقتنا به محصورة ومحسورة بدقائق معدودات، نقرات سريعة ننقرها، أو حتى أحياناً لا نفعل، عدا هذه الدقائق يمضي عمرنا كله في واد آخر، في قعر آخر... هاوية أخرى... لقد أعطينا ما لقيصر لقيصر، وما لله - ماذا فعلنا به؟

لقد أشربنا في قلوبنا الغرب... فماذا كنا نتوقع غير ذلك؟

وعندما يكون الغرب قد أشرب في قلبك، كيف يمكن لك أن تهتدي إلى الصراط المستقيم؟

.... كيف تستطيع أن تسمع القرآن، وفي أذنيك ذلك الوقر الغربي المستورد: الضجة والصخب والموسيقا الإلكترونية.

كيف يمكن لك أن تتذوقه، أن تستشعره، وأنت حتى لا تفهمه، ترطن بلغته ولا تتقنها.

كيف يمكن لقلبك أن يخشع ويرتعش في حضرته، والرعشة الوحيدة التي تتصور وجودها هي تلك الرعشة العضلية العابرة، واللذة الوحيدة التي لقنوك تحصيلها هي اللذات الجسدية العابرة التي تفنن الغرب في تنويعها وتغليبها وتصديرها إليك.

كيف يمكن لك أن تتشبث بقيمه، تتمسك بمقاصده، تستعصم بمعانيه وبحبله وأنت قبلتك مكان آخر، ووجهتك معان مختلفة ومقاصد مخالفة؟

بل كيف يمكن لك أن تحبه، أن تحس به، وأن تمتثل لسنته، وأنت بينك وبينه جبال الألب بأسرها، لكنها جرداء عارية هذه المرة..

جبال الألب الغربية، تحاصر قلبك من كل اتجاه. من الجهة الغربية خاصة.

☆☆☆

وعندما تذهب إلى هناك، غرباً...

وتقطع جسور العودة، وتحرق الأوراق والوثائق، لا عودة، ولا جسور، ولا أوراق تريد أن تبقى معك.

... عندما تهاجر إلى هناك، بحثاً عن جواز سفر جديد، ووطن جديد، وملجأ جديد.

لا تتصور أن هذا الوطن البديل سيكون جنة المأوى، لا تتصور أنك ستجد فيه سدرة المنتهى.

هل قطعت الجسور خلفك؟ هل حرقت السفن من وراءك؟ هل مزقت الصور والأوراق والذكريات؟

هل استبدلت رأسك بآخر جديد، كما فعلت مع التسريحة الجديدة؟

... هل حلقت شاربيك يا صديق؟

ربما فعلت ذلك كله، وربما لم تفعل.

لكني أريد أن أقول لك شيئاً: هناك اللعبة أخطر، هناك اللعبة أخبث، إبليس يحاصرك هناك بطريقة مختلفة؛ كل الحركات السابقة ستكون لا داعي لها، إنه الحوت هناك يبتلعك، فلا داعي لخفة الأفعى ومكر الثعلب.

إنه الحوت الهائل الذي ستهرسك أحشاؤه وتدوسك أمعاؤه وتمزقك أنيابه...

وسيحدث ذلك كله بمنتهى الهدوء.

ستكون الغفلة، التي هي نقلة إبليس الأولى، أسلوباً كلاماً للحياة هناك، سيكون الخوض مع الخائضين هو رمز حياة القطيع البشري، الذي يركض خلف (المترو) واللقمة من التاسعة صباحاً إلى الخامسة مساء، بعدها يعلف طعامه الجاهز السريع ويغط في سبات عميق هو أشبه بالإغماءة.

... وعندما تجد وقتاً للفراغ، فإن الخوض مع الخائضين سيأخذك، في أحسن الأحوال إلى (السوبر ماركت) لتمارس طقوس التعبد لإله الاستهلاك وأوثانه المتعددة: اشتر واستهلك، واشتر واستهلك، وسوف لا تجد وقتاً لتجرب ما تشتري، إنك لا تعرف أصلاً لماذا تشتري، ولكنك مضطر لذلك لأن القطيع لا يفعل سوى ذلك، وأنت مجبر على أن تفعله، كأي فرد من أفراد القطيع..

... وهناك لن يكون العري إغراء، لكنه سيكون مجرد خلع الملابس، وعندما تشرق الشمس ذات مرة في السنة الصقيعية المنجمدة، فإنك ستراهم يخرجون من قبور حياتهم عرايا يتراكضون في الشوارع.

ولن تكون الشهوة بركاناً يريد أن يثور، ولن يكون في عروقك دم يغلي ويفور، بل سيكون هناك ماء يكاد ينجمد، سيكون هناك تفريغ، محض تفريغ لا بد منه، ولن يكون الجنس فعل زنا تفعله. سراً وخلسة، بل

سيكون أمراً اعتيادياً بيولوجياً أشبه بفعل الحيوانات والبهائم، والعلاقات العابرة لن تكون سوى الثبات الوحيد القائم، وأي شيء آخر سيكون شذوذاً يحتاج إلى طبيب نفسي...

... وستسقط إما في فخ الرجال الواسع الذي سيفتحه لك إبليس بحذقة المعهود وبراعته المعروفة، إن مجرد بقائك مسلماً وتحفظ الشهادتين في غربتك هذا كفيل بأن يدخلك الجنة. إن مجرد صلاتك وصيامك في رمضان سيكفران عنك كل سيئاتك، إن مجرد تذكرك لبعض الآيات وقصار السور سيحرم النار على وجهك.

أو إنه سيسقطك في الفخ الآخر: اليأس، ستكون قد انغمست تماماً - وبعمق - في تفاصيل الحياة الغربية بشكل يجعلك تتصور أنه من المستحيل أن تغير حياتك باتجاه الصراط المستقيم وسيصور لك الأمر كقدر لا فرار منه ولا مفك عنه، لا تفكر في الأمر، لقد أصبحت غربياً وانتهى الأمر، لا داعي للتفكير في جهنم، ولا الفرار منها.

لا تفكر في الموضوع، اهرب منه بالانغماس في أسلوب حياتهم، هم الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون.

... وسيحاصرك في ذلك الفخ الآخر، والغرب

فرصته الذهبية - عندما تحاول أن تلتزم - فيخوفك: إذا صليت في ساعات العمل الطويلة، سيهددك بالطرد منه، وإذا ظهرت عليك مظاهر الاقتداء به - عليه الصلاة والسلام - سيجعل الناس ينظرون إليك كإرهابي محترف - وإذا ركبت القطار لساعات من أجل أن تصل لأقرب جامع، سيعدونك رئيساً لجمعية إرهابية.

... وستخاف أن يأخذ عنك الجيران فكرة أنك لست منتمياً لهم: فتضطر لإظهار مشاركتك لهم في شربهم ومجونهم واحتفالات أعيادهم..

.. وسيكون ذلك جزءاً من نقلات إبليس، على تلك الرقعة المربعة التي يسمونها الكرة الأرضية.

وسيكون - في غضون ذلك - إبليس يلعب وحده.

وستكون أنت قد استسلمت له تماماً.

☆☆☆

( يا صديق، الجسور مقطوعة، والسفن محروقة، والأرض محظورة... والسماء واسعة لكنها باتت محجوبة)..

وبعد سنين من هجرتك إلى هناك ستنتمي، وستصير لك جذور وأغصان وفروع...

وستعود على كل شيء.

ربما بالتدريج سيصير جواز سفرك هوية حقيقية، ستحس بالانتماء إليه، إن لم يكن بالامتنان له، إنه هو الذي فتح لك تأشيرات السفر إلى بلدان ما كنت تحلم بزيارتها فيما لو ظللت محتفظاً بجواز سفرك الأصلي.

... وبعد سنين، ستكون قد بدأت تفكر مع نفسك باللغة التي بدت في البداية معقدة ومشوهة، لكنك بالتدريج تعودتها، وعندما كبر أولادك قليلاً ودخلوا المدارس، صرت حريصاً على أن تتحدث معهم بها، حتى لا يبدوا غرباء وغير منتمين بالنسبة إلى أقرانهم في المدرسة.. وبالتدريج ستصير هي لغتك في البيت..

.. وبعد سنين، في احتفالات رأس السنة، ستحفتل أنت بعيد ليس عيدك، لكنه مظهر للانتماء لا تستطيع التخلي عنه، وستأتي ابنتك التي لم تتم الثامنة عشر، بصديقها معها إلى البيت، سيزعجك ذلك، لكنك ستكتم انزعاجك وتسكت.

وبعد أن تكمل العشاء ستخرج معه لإكمال السهرة في الخارج، وسيزعجك ذلك أكثر لكنك ستسكت أيضاً.

لكنها عندما ستبات معه في شقته فإنك ستنفجر فجأة؛ كل شيء إلا هذا، ستأخذك زوجتك على انفراد - وهي أيضاً تبدو قلقة قليلاً، لكنها متفهمة أكثر لموقف ابنتك - ستقول لك بصراحة ومن دون مواربة:

ماذا كنت تتصور إذن؟ [صحيح: ماذا كنت تتصور؟].

وستقول لك أن ابنتك أفضل من غيرها، كل زميلاتها في المدرسة فقدن عذريتهن في الرابعة عشرة، أما هي فقد صمدت حتى السادسة عشرة...

... وسيصدمك ذلك، فجأة ستسود الدنيا في وجهك، ماذا كنت تتوقع إذن؟ ستقول لك زوجتك، وستدور بك الأرض وتدور: ماذا كنت تتوقع؟ قل لي: ماذا فعلت بنفسك يا صديق؟

عندها اذهب وواجه نفسك أمام المرآة، في لحظة صدق: لديك دخل جيد، ولديك بيت مريح وسيارة حديثة، وحساب مصرفي جيد.. ووجهك أكثر نضارة وأقل تجاعيد، مما لو كنت بقيت هنا... نعم، كل هذا صحيح..

لكن انظر بعمق في مرآة الصدق؛ إن الخنزير يبدو أكثر نضارة من الفرس الأصيل، وأنت تعرف ذلك جيداً، لكن الخنزير ديوث وعديم الغيرة، أما الفرس فهو نبيل وأصيل... عندها، فليصلك صوتي يسألك وأجبني:

**ماذا فعلت بنفسك أيها الصديق؟.**

☆☆☆

لا لم ينته الأمر.

وفي النهاية، الأمر كله لعبة شطرنج تستطيع أن تنتصر فيها، رغم مهارة خصمك.

وتستطيع أن تخسر وأنت هنا، وتكون ديوثاً محلياً [وأنت أدرى كم من ديوث هنا..].

وتستطيع أن تربح وأنت هناك، وتظل فرساً أصيلاً شريفاً.

وتستطيع أن تخسر اللعبة وتسقط في براثن إبليس وبين أنيابه وأنت هنا، مثلما كنت سابقاً، وتستطيع أن تربحها وأنت هناك، ثابتاً على إيمانك محافظاً على التزامك، بل ومتوغلاً متعمقاً فيه..

المسألة ليست في الجغرافية، الأرض كلها رقعة مربعة.

المسألة هي ذلك الوعي الحاد بأصول اللعبة وقواعدها، وبنقلات الخصم وخبراته، المسألة هي في ذلك الإحساس بأن اللعبة مستمرة في كل لحظة من لحظات حياتك، وأن ربحها أو خسارتها هو قضية حياتك كلها..

من دون لف أو دوران: قد تربح وأنت هناك، وقد تخسر وأنت هنا، كل ما في الأمر أن التحدي هناك أكبر، والقطيع الخائض المعد للذبح أكبر، والغفلة عن الله أعمق...

... لكن التحدي ممكن، والربح ممكن...

تعلم شيئاً؟ إنني حتى الآن لم أسألك، إن كنت من محبي اللعبة... ومن هواتها، أم لا...

☆☆☆

وسواء كنت تحب الشطرنج أم تمقته، تجيده أو تنسى أصوله، فإنه سيظل ملحمة حياتك بأكملها...

تقول: إنك تجهل قواعده؟ يا صديق هناك كتاب يجعلك تتعلم اللعبة على أصولها وقواعدها الحقيقية، يحتاجه حتى أمهر لاعبي الشطرنج وأصحاب البطولات.

كتاب يعلمك الشطرنج الحقيقي، شطرنج الملحمة، لا شطرنج الطاولة والحاسوب.

تقول: إنك تريد نسخة منه؟ لكنك تملك نسخة فعلاً، وأؤكد لك أنك تملك أكثر من نسخة.

الكتاب؟ ربما على الرف يعلوه الغبار، ربما في السيارة من أجل الحرز والحماية، ربما لا يفتح في الأشهر إلا في رمضان... لكنه هناك... موجود. ولو قرأته لتعلمت أصول اللعبة وقواعدها.

عرفته طبعاً.

☆☆☆

ومن أهم قواعد اللعبة أن تظل اللعبة لعبة قائمة ومستمرة، ألا تتصور قط أنها انتهت، وأنك انتصرت أو انهزمت.

بل إن من أهم نقلاته - خصمك العنيد - أن يوهمك أنك انتصرت، وأنه هزم أمامك.. عندها ستمدد باسترخاء فرحاً بانتصارك فإذا بالأسود ينقض على الأبيض ويقتله...

**اللعبة تظل لعبة**، لا انتصار حقيقي إلا عندما تنتهي حياتك، لا تأمن لسكونه، إنه ماكر جداً فلا تفرح بانتصار في جولة، إنه يلتف ويناور، ولا ييأس أبداً.

وإذا ساورك الأمان والاطمئنان، وتصورت أنك انتصرت، فاعلم أنها نهايتك، وأنه قد تمكن منك.

☆☆☆

اللعبة... الملحمة؟؟

ادخلوها بسلام.

ولكن حذار أن تدخلوها آمنين.

☆☆☆

ولا تقل أبداً: كش مات.

ولكن قل دوماً: كش ملك أيها الشيطان الرجيم.

٢٠/٤/٩

ketab.me
Best Books

Light in the Galaxy

# Checkmate

## Kushsh Malik

Aḥmad Khayrī al-'Umarī

سلسلة من الرسائل المولودة من رحم الدعوة ، المتفلتة من الأبراج العاجية للوعظ التقليدي ، المعجونة بتوتر الواقع والناس الحقيقيين.

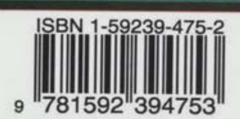
إنها رسائل مكتوبة من أجل إنسان واحد فقط، لكنه إنسان حقيقي: قد يكون أي واحد منا ، بكل خفاياه وخباياه وخطاياه ورغباته وخيره وشره.

إنه الإنسان ، بمطلق حاله، و حياته ، لو كانت بعيدة عن الله ، فإنها ستكون كما لو كانت في مجرة معزولة ومظلمة و نائية..

ولأنه لا شيء غير الإيمان يمكن له أن ينير تلك الظلمة - فإن تلك الرسائل تدعوه إلى أن يحفر في أعماقه، تدعوه إلى أن يستحضر في أعماقه: ضوء المجرة..



SROUR ALWANI 2005


ISBN 1-59239-475-2
9 781592 394753